الـجمهورية الـجزائرية الـديـمقراطية الـشعبيـة
وزارة التعلـيـــم الـعـالـــي والبـحـــث الـعلـمـــي
جـامـــعـة إبـن خـلـدون – تـيـارت
كـــلـيـة الآداب واللـــــغات
قـسم اللغـة والأدب العـربي

سلطـــة الـــمكان فـــي الـروايـة الـــمغربـيـة

روايـــــة رَوَاءُ مـــكـة لـ: حسن أوريد نـموذجـا

رسالة مقدمة مكملة لنيـل شهـادة الماستر في الأدب العربي

تـــخصص: أدب حـديـث ومـعـاصر

إعـداد الطالبين:
– بوغدو محمد إسلام
– قرواني أحمد

إشـــــراف الأستاذ الـدكـتـور:
– عـلي مدانـــي

لجنـة المناقشـة

أعضاء اللجنة	الصفة	الرتبـة
بلمهل عبد الهادي	أستاذ التعليم العالي	رئيســـــــا
عـلي مدانـــي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا مقـررا
شريف حسني عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشـا

الـسنة الـجامعية: 2022-2023م/1443-1444هـ

شـكـر وعـرفـان

الحمد لله والشكر لله والصلاة والسلام على رسول الله

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان

إلى الأستاذ الدكتور الفاضل " عـــلي مدانـــــي "

على قبوله الإشراف على هذا العمل

وعلى توجيهاته ومساعدته القيمة

موصول كل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل أساتذتنا الكرام الذين أشرفوا

علينا خلال مسارنا الدراسي و كل من ساهم من قريب أو بعيد في

إنجاز هذا العمل ولو بالكلمة الطيبة.

إهـــــداء

نهدي هذا العمل المتواضع

إلى الوالدين الكريمين

إلى الإخوة والأخوات

إلى كل الأصدقاء

إلى كل من ساعدنا في إتمام هذا العمل المتواضع

ولو بالكلمة الطيبة

إسلام أحمد

مـــــقدمة

بسم الله بديع السموات والأرض ذي الجلال والإكرام، الحمد لله حمدًا كثيرًا ملء السموات والأرض وملء ما بينهما، نحمد الله ونشكره ونؤمن أنه هو الواحد الأحد وأن سيدنا محمد عبده ورسوله.

تعد الرواية من أهم وأبرز الأنواع الأدبية وأكثرها انتشارا ومقروئية في العصر الحالي، عربيا وغربيا على حد سواء، فالعرب قديما كان الشعر هو ديوانهم ومبعث فخرهم وسجل بطولاتهم ومآثرهم وعاداتهم، حتى جاءت الرواية اليوم لتتبوأ مكانته وتصبح ملحمة أدبية وفنية تترجم مشاعر الإنسان وتطلعاته وحياته.

ومن خلال الاهتمام بدراسة الرواية، كان الاهتمام بدراسة جميع عناصرها ومشكّلاتها من شخصيات وأحداث؛ وزمان ومكان، هذا الأخير الذي يعتبر عنصر الرواية الأساس؛ إذ لا يمكن تصور العناصر الأخرى بدونه بل إن الحياة بأسرها مرهونة بوجود المكان وإن العمل الأدبي إذا افتقر للمكان فإنه يفقد خصوصيته وجماليته.

لم يكن المكان من أبرز اهتمامات النقاد قديما بل ظهر في العصر الحديث حيث استقطبت هذه الظاهرة جلّ الأدباء والمبدعين من خلال إدماج المكان في أعمالهم الأدبية لا سيما عند تطرقهم ومعالجتهم لقضايا المجتمع والأوضاع السياسية والنفسية. خلق المكان لنفسه حيزا في العمل السردي عامة وفي الرواية خاصة فهي خير مجسد له.

يحمل المكان دلالات متنوعة وعلاقات تربط الإنسان بواقعه المكاني؛ مما تنشئ بينهما علاقة اتصال أحيانا؛ وانفصال أحيانا أخرى، أو بصيغة أخرى علاقة تأثير وتأثر، لذلك سدت الرواية ذلك الفراغ الذي انشغل به الأدباء عن طريق مراعاتهم لاندماج المكونات السردية بعالمهم الخاص.

كما أصبح المكان من أهم العناصر التي تشكل جمالية النص الروائي؛ فهو المحور الذي يدور حوله الحدث الروائي لما له من سلطة في إبراز نفسية الكاتب وشخصيته وفكره، فصلة الإنسان بالمكان ذات أبعاد عميقة ومن هذا الأساس جاءت دراستنا حول المكان والبحث فيه وذلك من

خلال دراسة سلطة المكان في رواية "رواء مكة" للروائي المغربي حسن أوريد الذي اهتم في سيرته الروائية بشكل مباشر بالمكان وسلطته وجماليته.

أما عن الأسباب التي حفزتنا لدراسة سلطة المكان في الرواية فهي عديدة نذكر منها:

. قلة الدراسات حول عنصر المكان في رواية رواء مكة التي على حسب ما تحرياه لا يوجد عنها دراسات مستفيضة وبحوث كثيرة.

. إعجابنا بأسلوب الروائي حسن أوريد الشيق ولغته البلاغية الراقية التي قلّما تجد نظيرا لها في فن الرواية.

. أهمية المكان وخصوصيته في هذه الرواية وهي مكة لما لها من أهمية وقدسية دينية وروحانية في قلب كلّ مسلم وهذا ممّا سهل علينا كثيرا تطبيق دراستنا عليها.

ولتبيّن أهم مظاهر المكان في الرواية طرحنا الإشكال الآتي: ما تمظهرات السلطة وملامح جماليتها التي فرضها المكان على الرواية موضوع البحث؟ وقد تفرع عنه جملة من التساؤلات، لعلّ أهمها:

. ما مفهوم المكان وبنيته روائيا وفلسفيا؟

. ما علاقة المكان ببقية المكونات السردية في العمل الروائي؟

. وكيف ساهمت سلطة المكان في تشكيل وعي الشخصية الروائية؟

ونحن نلج عوالم "حسن أوريد" الروائية اختلطت أمامنا المناهج، أيها مناسب وأيها أختار .. إلى أن استقر الرأي بنا عند المنهج البنيوي، فاتخذناه سبيلا يعيننا على قراءة هذا النص وتحليل شفراته.

وخلال دراستنا هذه استعنا بجملة من المصادر والمراجع التي استقينا منها زبدة المادة العلمية وسهلت علينا عملية البحث، كان من أبرزها المدونة التي اشتغلنا عليها وهي رواية "رواء مكة" لحسن أوريد، إضافة إلى كتاب جماليات المكان لغاستون باشلار، وبنية الشكل الروائي لحسن بحراوي، وبنية النص السردي من منظور النقد الأدبي لحميد لحميداني.

من هذه المنطلقات كان الهيكل التنظيمي لبحثنا معتمدا على الخطة التالية: مقدمة يليها فصلان وخاتمة.

أما الفصل الأول، فتناولنا فيه مفهوم المكان بفرعيه (اللغوي والاصطلاحي)، وتطرقنا إلى أنواعه وأهميته؛ بالإضافة إلى جمالية المكان وعلاقته بالشخصيات الروائية وختمنا الفصل بالإحالة إلى أنسنة المكان وجماليته في الرواية.

في حين كان الفصل الثاني تطبيقيا، وعنوانَّه بـ"سلطة المكان في رواية رواء مكة" وقسمناه هو الآخر إلى عناوين فرعية، بدأناها بالمكان وعلاقته بالعناصر الروائية؛ وذلك من خلال قراءتنا لعتبة الرواية (العنوان) وتبيان الأماكن بنوعيها (المغلقة والمفتوحة) ومدى تأثير المكان على الشخصيات وذلك عبر اقتباس ودراسة مقاطع سردية من الرواية.

ثم أنهينا بحثنا هذا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها.

ولأنه لا يخلو بحث من صعوبات فقد واجهتنا صعوبات أبرزها: كثرة وغزارة المادة العلمية مما صعب علينا انتقاء الأفضل والأفيد منها، بالإضافة إلى صعوبة تحصيل بعض المراجع المهمة.

وإننا لا يسعنا في دراستنا إلّا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ الفاضل المشرف على بحثنا الأستاذ الدكتور "مداني علي" الذي لم يبخل علينا بتوجيهنا للموضوع أولا، والنصيحة والتوضيح والتقويم ثانيا، فله منا أسمى عبارات الشكر والامتنان، وجميل العرفان لتكلفه مشقة الإشراف على هذا البحث، وندعو له العلي القدير أن يرفع شأنه ويعز مقامه. كما لا ننسَ أن نشكر كلّ من أمدّ لنا يد العون في سبيل إنجاز هذا البحث المتواضع الذي إن وُجِدت فيه أخطاء وهفوات، فهي منّا ومن الشيطان، وما كان هذا البحث ليتم إلّا بتوفيق من الله، عليه توكلنا وبه استعنّا وإليه ننيب.

بـوغدو محمد إسلام

قـروانــي أحـمد

تيارت، في 20 جوان 2023

الفصل الأول

المكان: المفهوم، الأنواع والعلاقات

مفهوم المكان الروائي

أنواع المكان

أهمية عنصر المكان في البناء الروائي

جمالية عنصر المكان

علاقة المكان بالشخصية الروائية

أنسنة المكان

مفهوم المكان الروائي

المكان لغة:

أورد ابن منظور عن ابن سيده أن المكان الموضع، والجمع أمكنة، كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعالا لأن العرب تقول كن مكانك وقم مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر مكان أو موضع منه[1]

ويذهب ابن سيده إلى أن المكان "جمع أمكنة، فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية"[2]، والمكان "اشتقاقه من كان يكون ولكنه كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية[3]

وجاء في الصحاح للجوهري: كلمة "المكان" تحت مادة ك و ن" وفيه ...ُ المكانة: المنزلة والمكانة الموضع"[4] وعرفه المعجم الوسيط المكان المنزلة يقال: هو رفيع. المكان. و – الموضع (ج) أمكنة[5].

جاء في معجم العين لخليل أحمد الفراهيدي تحت مادة مكن والمكان في أصل تقدير الفعل مفعل لأنه موضع الكينونة، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى فعال، فقالوا مكنا له وقد تمكن، ليس بأعجب من تمسكن من المسكين.[6]

وفي قاموس "محيط المحيط"، لبطرس البستاني، يعرّف المكان "فلان عند السلطان يمكن مكانة، عظم عنده، وارتفع وصار ذا منزلة. . . الموضع أو مفعل الكون، الجمع. أمكنة وأماكن وأمكن قليلا".[7]

---

[1] ينظر ابن منظور، لسان العرب، مج 14، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1 ،1997، ص 113

[2] م ن، ص ن

[3] م ن، ص ن

[4] ابن اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة العربية والصحاح العربية ص 1017

[5] المعجم الوسيط باب الكاف جذر كون ص 806

[6] الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، دار الكتب العلمية، الجزء الرابع، باب الميم ص 161

[7] بطرس البستاني: محيط المحيط: مكتبة لبنان، دط، دس، ص.859

المكان اصطلاحا:

المكان عند الحكماء هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي وعند المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده[1].

- **المكان المبهم:** عبارة عن مكان له اسم تسميته به بسبب أمر غير داخل في مسماه كالخلف، فإن تسمية ذلك المكان بالخلف إنما هو بسبب كون الخلف في جهة وهو غير داخل في مسماه.

- **المكان المعين:** عبارة عن مكان له اسم تسميته به بسبب أمر داخل في مسماه كالدار، فأن تسميته بها بسبب الحائط والسقف وغيرهما وكلها داخلة في مسماه.[2]

ويعني المكان فلسفيا هو ما يحل فيه الشيء أو ما يحوي ذلك الشيء ويميزه ويحده ويفصله عن باقي الأشياء. ونجد أن أول استعمال اصطلاحي للمكان في الفلسفة قد صرح به أفلاطون إذ عده حاوياً وقابلا للشيء. أما عند أرسطو طاليس فهو يعد محلا، وعند إقليدس فانه ذو ثلاثة أبعاد هي الطول والعرض والعمق.[3]

ويعرّفه ابن سينا في جميع مؤلفاته "السطح المادي المتمكن وهو نهاية الحاوي المماسة لنهاية المحتوى". وهذا هو المكان الحقيقي برأي ابن سينا وغير الحقيقي هو الجسم المحيط[4] وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم المكان: أي المستقر أو الموضع يستقر فيه الشيء[5]

أما في الدراسات الحديثة فيعرفه يوري لوتمان (Youri Lotman) بأنه "مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة () تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة والعادية مثل الاتصال والمسافة"[6] فقد نقل لوتمان المكان من المستوى

---

[1] ينظر، الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت 4، 1995، ص 227.

[2] م ن، ص ن

[3] محمد أحمد السامرائي، فلسفة المكان في الفكر الجغرافي, محمد أحمد السامرائي ص 18.

[4] م ن، ص ن.

[5] محمد فؤاد عبد الباقي، معجم ألفاظ القرآن الكريم، المجلد الثاني ص 520.

[6] يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني (المكان والدلالة)، تر: سيزا قاسم، مجلة ألف، العدد 6، 1986 ص 89.

الفلسفي إلى المستوى السوسيولوجي، وأكد على أهميته تحت نظام العلاقات القائمة بين الأشياء التي تخضع بتغيرات مختلفة في الأشكال و"إن نماذج العالم الاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية العامة التي ساعدت الإنسان على مراحل تاريخية على إضفاء معنى الحياة التي تحيط به نقول إن هذه النماذج تنطوي دوما تحت سمات مكانية". فمرجعية الإنسان الأولى تعلقت بالمكان ليبني منظومته، كما أن المكان هو الركيزة الأساسية التي يتعامل الإنسان مع الوسط الذي يعايشه، وينتمي إليه[1].

أما تعريف "يوري لوتمان" للمكان فهو "مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر والحالات والوظائف والأشكال المتغيرة. . . التي تقوم بها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية (مثل الاتصال، المسافة. . . إلخ)"[2].

ويعرفه "حسن بحراوي" "بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث، فالمكان يكون منظما بنفس الدقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية، لذلك فهو يؤثر فيها ويقوي من نفوذها كما يعبر عن مقاصد المؤلف، وتغيير الأمكنة الروائية سيؤدي إلى نقطة تحول حاسمة في الحبكة وبالتالي في تركيب السرد والمنحى الدرامي الذي يتخذه.[3]

ومكانة المكان عند "عبد المالك مرتاض" يعرفها بقوله: "إن المكان لدينا هو كل ما عني حيزا جغرافيا حقيقيا، من حيث نطلق الحيز، في حد ذاته، على كل فضاء خرافي، أو أسطوري، أو كل ما يند عن المكان المحسوس. . . وما يعتور المظاهر الحيزية من مظاهر أو تغير[4]".

---

[1] عجوج فاطمة الزهراء، المكان ودلالته في الرواية المغاربية المعاصرة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس الجزائر 2017_2018 ص 6

[2] ينظر: يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني، تر: سيزا قاسم، كتاب: جماليات المكان مجموعة من المؤلفين، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، ط،1 1988م، ص.69

[3] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط،1 1990م، ص 32

[4] عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د ط1995، م، ص 245

المكان فلسفيا:

عند الفلاسفة الغربيين:

نشأ المفهوم الاصطلاحي للمكان بعدا فلسفيا، مع الفلسفة اليونانية، اذ اخذ هذا المفهوم معنى، يحمل خصائص معينة تميزه عن غيره من المفاهيم الاخرى كالحركة والزمان والتناهي واللاتناهي والجسم الطبيعي. ويعني بالمكان، فلسفيا، هو ما يحل فيه الشيء او ما يحوي ذلك الشي ويميزه ويحده ويفصله عن باقي الأشياء ونجد أن أول استعمال اصطلاحي للمكان في الفلسفة قد صرح به أفلاطون إذ عدّه حاويا وقابلا للشيء. وبعد أفلاطون، أخذ مفهوم المكان يحتل أهمية متميزة في أبحاث الفلاسفة، إذ خصصوا له مكانة خاصة في مؤلفاتهم التي تركوها لنا، وإن اختلف تحديد المفهوم من فلسفة إلى أخرى، حسب منطلقاتها.[1]

فهو عند أرسطوطا ليس يعد محلا، وعند إقليدس، فإنه ذو ثلاثة أبعاد هي الطول والعرض والعمق. وإذا انتقلنا الى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، فإننا نجد أيضا، أن مفهوم المكان يشغل أهمية خاصة، فهو عند ديكارت، الممتد في الأبعاد الثلاثة، وعند اسبينوزا ومالبرانش، هو الامتداد غير المتناهي. أما عند ليبنتز هو نظام للأشياء في معيتها، وهو فكرة مضطربة ومجرد شيء ظاهر. أما موقف جون لوك من مفهوم المكان، فهو فكرة لا محددة، ويرى باركلي أن مفهوم المكان يتألف من جملة أفكار مختلفة عن المكان، وعند هيوم، هو مؤلف من أنات ولحظات ونقاط منفصلة.

والمكان عند نيوتن وكلارك كما هو عند أفلاطون، حاو للأشياء، مع إضافة خاصية له هي اللاتناهي والأزلية والأبدية والقدم، وعدم الفناء.

[1] حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق بغداد، الطبعة الأولى، 1987 ص19

أما المكان عند كانت فهو لم يأت من الإحساسات، وليس من التجربة، إنه أصل التجربة، ولهذا فإن توافر فكرة المكان لدينا هو الذي يساعدنا على إنشاء التجربة، وهو لامتناه، وليس تصورا للأشياء، وكذلك ليس مضطربا كما هو عند ليبنتز، كما أنه ليس شيئا عقليا.

ثم جاء دوركهايم ورأى أن "المكان شيء نسبي("٤)، وبعد أن جاءت النظرية النسبية، رأى الفلاسفة والعلماء أن الزمان والمكان لا يمكن عد هما مستقلين الواحد عن الآخر، بل لابد من المزج بينهما فيما يسمى باسم "متصل الزمان والمكان".

وفي القرن التاسع عشر ظهرت مفاهيم جديدة للمكان، فأصبح مفهوم إقليدس للمكان غير كاف لتفسير علاقة الأشياء بالمكان، فأثبت جاوس، وريمن، وهلموتز، ويوليالي، وغيرهم، أنه يوجد مكان غبر الإقليديسي، أي يمكن تصور أبعاد عديدة للمكان، وأن المكان الإقليديسي ليس إلا واحدا منها.

ويمكن القول، من كل هذا أن مفهوم المكان، محلا أو حاويا أو ممتدا، هو اصطلاح أنشأه الإنسان لكي يحدد موضعه في المكان ولكي يفهمه فهما عقليا، ولهذا لم تجد اللغة والفلسفة مفردة تدل دلالة متميزة على حاوي الاشياء غير مفردة المكان نفسها، فهي لفظة ذات دلالة تعبر تعبيرا واضحا عما يراد منها.[1]

عند الفلاسفة العرب:

ويرى الفارابي فكرة المكان في قوله: "وأما ما سبيلهُ أن يجاب به في جواب (أين الشيء) فإنه أنما يجاب فيه أولاً بالمكان مقروناً بحرف من حروف النسبة وفي أكثر ذلك حرف في ، مثل قولنا (أين زيد) فيقال (في البيت) أو (في السوق) فإن الأسبق في فكر الإنسان من معاني هذه الحروف هو نسبة الشيء إلى المكان أو إلى مكانه الذي له خاصة أو لنوعه أو لجنسه، ويشبه أن تكون هذه الحروف

[1] حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، ص 19

إنما تُنَقَّل إلى سائر الأشياء متى تخيل فيها نسبة إلى المكان، والمكان لما كان محيطاً ومطيفاً بالشيء، والشيء المنسوب إلى المكان محاط بالمكان – فالمحيط محيط بالمحاط والمحاط محاط به المحيط- فالمكان بهذا المعنى من المضاف[1]". "أما المكان عند الجمهور فهو الوعاء الذي يكون فيه المتمكن، فيقال إن الماء مكانهُ الكوز الذي هو فيه، وإن الخّل مكانة الزَّق الذي هو فيه، وعلى هذا القياس مكان كل شيء هو الوعاء الذي هو فيه وعل هذا القياس مكان كل شيء هو الوعاء الذي هو فيه، وكما يقال إن مكان السمك هو الماء، ومكان الطير هو الهواء، وبالجملة مكان كل متمكن هو الجسم المحيط به، وقيل أيضا إن المكان هو سطح الجسم الحاوي الذي يلي المحوي، وقيل لا، بل المكان هو سطح الجسم المحوي الذي يلي الحاوي، وعل كلا الرأيين والقولين يجب أن يكون المكان جوهرا، وقيل إن المكان هو الفصل المشترك بين سطح الجسم الحاوي وسطح المحوي، وعل هذا الرأي يجب أن يكون المكان عرضا، وقيل أيضا إن المكان هو الفضاء الذي يكون فيه الجسم ذاهبا طولا وعرضا وعمقا، وإن مكان كل جسم مثله سواء، فإن كان الجسم مدور الشكل، أو مربعا أو مثلثا أو غيرها من الأشكال فإن مكانه مثله سواء لا أصغر ولا أكبر، حتى قيل في المثل: إن المكان مكيال الجسم، وعلى هذا الرأي يجب أن يكون المكان جوهرا، واعلم أن الذين قالوا إن المكان هو الفضاء إنما نظروا إلى صورة الجسم ثم انتزعوها من الهيولى بالقوة الفكرية وصوروها في نفوسهم وسموها الفضاء، وإذا نظروا إليها وهي في الهيولى سموها المكان، وهذا يدل على قلة معرفتهم أيضا بجوهر النفس وكيفية معارفها ومعانيها.[2]

وعند الكندي "الجرم جوهر ذو أبعاد ثلاثة، أعني طولاً وعرضاً وعمقاً؛ فهو مركب من الجوهر الذي هو جنسه"[3] فالجرم هو الطول والعرض والعمق أي المكان الموجود فيه من جنسه ف "الغالب

[1] أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، حققه: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت لبنان، ص 88، 89

[2] رسائل اخوان الصفاء، وخلان الوفاء، مراجعة: خبر الدين الزركلي، مؤسسة هنداوي ج 2، ص 14

[3] أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق: محمد عبد الهادي ابو ريده، القسم الاول، مطبعة حسان، الطبعة الثانية ص 161.

على الكندي أنه على رأي أرسطو في الزمان والمكان والصورة والمادة والطبيعة والسببية والعقل والنفس"[1]

أما أبو بكر الرازي فقد كان ردّه على بعض الذين رأوا أن المكان المطلق هو الخلاء بقوله: "وهذا الزمان والمكان عندهم هما غير المكان المعهود عندنا وغير الزمان المعهود عندنا؛ لأن المكان المعهود عندنا هو المحيط بالتمكن فيه من جهاته ومن بعضها وهو ينقسم قسمين: إما مكان يتشكل المتمكن فيه بشكله كالبّر أو الماء في الخابئة، وما أشبه ذلك، وإما مكان يتشكل هو بشكل المتمكن فيه كالماء لما حلّ فيه من الأجسام وما أشبهه".[2]

فالمكان عند الرازي قائم على استدلالين:

- مكان عام مبني على وجود الأشياء فيه من حولنا، وكأنه يقارب بذلك مسألة الكليات في المكان/ اليابسة والبحر، وأي شيء آخر يتجلى فيه المكان دون أن يتمكن فيه الشيء.
- ومكان خاص واقع تحت تأثير ما يتمكن فيه.

" والقول في المكان طويل، ووجيزه أن له بالاتفاق أربع خواص:

أحدهما: أن الجسم ينتقل منه إلى مكان آخر، ويستقر الساكن في أحدهما.

الثاني: أن الواحد منه لا يجتمع فيه اثنان، فلا يدخل الخّل في الكوز، مالم يخرج الماء، ولا يدخل الماء، مالم يخرج الهواء.

والثالث: أن فوق وتحت إنما يكونان في المكان لا غير.

[1] عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1983 ص 308.

[2] أبو بكر الرازي، رسائل فلسفية، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار آفاق الجديد، منشورات دار آفاق الجديد، ط 5، بيروت،1982 ص 243.

والرابع: أن الجسم يقال: إنه فيه، فبهذا غلط من ظن أن المكان هو الهيولى لكون الهيولى قابلةً لشيء بعد شيء، كما أن المكان كذلك، وهو خطأ؛ لأن الهيولى، قابلة للصورة، والمكان عبارة عما يقبل الجسم، لا الصورة"[1].

وفي نهاية المطاف نرى أن مفهوم المكان مختلف عند الفلاسفة القدماء المثاليين والماديين. ولقد تطور مفهوم المكان عبر الزمان، حيث نجد أن الفلسفة المادية قالت دوماً بموضوعية المكان والزمان وشموليتها، بينما الفلسفة المثالية صورت العلاقات المكانية والزمانية شيئين مرهونين بالفكرة المطلقة والوعي الغيبي، أو نسبتها إلى الأشكال القبلية من الإدراك الحسي. أما المادية الديالكتيكية، فقد أكدت على الارتباط الوثيق بين كلّ من المكان والزمان والحركة والمادة، وبذلك استندت في ذلك إلى النظرية النسبية لأينشتاين والتي ترى أن المكان والزمان ليسا جوهرين مستقلين، وإنما هما من الصفات والعلاقات الشاملة للمنظومات المادية، وأن المكان والزمان مرتبطان، لا ينفصلان أحدهما عن الآخر، وليس ثمة علاقات مكانية وزمانية مطلقة وواحدة وعامة للكون. أي إن المكان ثلاثي الأبعاد، وأن الزمان ذو بعد واحد. ويشكل المكان والزمان معاً متصلا رباعي الأبعاد.[2]

[1] الإمام الغزالي، مقدمة تهافت الفلاسفة المسماة مقاصد الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، ص 312.

[2] جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، مهدي عبيدي، منشورات الهيئة العامة للكتاب، دمشق , 2011 ص 30

أنواع المكان

ميّز غالب هلسا بين ثلاثة أنواع للمكان بحسب علاقة الرواية به، وهي[1]:

1 - المكان المجازي: وهو الذي نجده في رواية الأحداث وهو محض ساحة لوقوع الأحداث لا يتجاوز دوره التوضيح ولا يعبر عن تفاعل الشخصيات والحوادث.

2- المكان الهندسي: وهو الذي تصوره الرواية بدقة محايدة، تنقل أبعاده البصرية، فتعيش مسافاته، وتنقل جزئياته، من غير أن تعيش فيه.

3- المكان بوصفه تجربة تحمل معاناة الشخصيات وأفكارها ورؤيتها للمكان وتثير خيال المتلقي فيستحضره بوصفه مكاناً خاصاً متميزاً.

قسم الدارس حسن بحراوي المكان الروائي، حين جعل من الرواية المغربية أرضا خصبة لمقارباته النقدية، إلى قسمين هما:[2]

1- أماكن الإقامة: وفيها تعرف الشخصية الروائية نوعا من الثبات والسكون.

2- أماكن الانتقال: في فلكها تعرف الشخصية حركة دؤوبة ودائمة.

كما قسم بدوره هذه الأماكن إلى أجزاء مكانية فرعية فاستنتج من القسم الأول فرعين هما:

أ- أماكن الإقامة الاختيارية: وتحدث فيه عن مكان البيت، الذي أولاه الباحث غاستون باشلار أهمية كبيرة، إضافة إلى هذا المكان يمكن أن نجد أماكن أخرى كالفنادق، الحمام...

[1] أحمد زياد محبك، مقالة جمالية المكان في الرواية، موقع ديوان العرب
https://www.diwanalarab.com/%D8%AC%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%83%D8%A7%D9%86-%D9%81%D9%89

[2] إسماعيل زغودة بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة عبد الجليل مرتاض نموذجا، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان الجزائر 2013 2014 ص 195

ب- أماكن الإقامة الإجبارية: وفيه ركز حسن بحراوي على مكان السجن، الذي حوته مجموعة من الروايات المغربية، كما أن لهذا النوع من الأمكنة دلالة مهمة في العمل الروائي قد تعبر عن الانتماء الفكري للكاتب، كما أنه قد يضفي طابع الصراع الداخلي في الرواية، ولا يقتصر هذا النوع من الأماكن على السجن فقط بل تتعداه مثلا إلى: الثكنة العسكرية، الزنزانة...

واستنتج من القسم الثاني فرعين كذلك هما[1]:

أ- أماكن الانتقال العمومية: وهي الأماكن التي يشترك فيها أكثر من شخص واحد، وقد مثل حسن بحراوي عن ذلك بمكان الحي، الذي تتحرك في إطاره مجموعة من الشخصيات، ويمكن أن نجد في روايات أخرى أماكن كالشارع أو الجبل أو الغابة، القطار دالة على هذا النمط من الأماكن.

ب- أماكن الإنتقال الخصوصية: وهي الأماكن الخاصة بشخص واحد، أو يملكها، وجاء حسن بحراوي بمكان المقهى الأكثر تداولا في الرواية المغربية والعربية، كما يمكن أن نضيف أماكن كالمطعم وسيارة الأجرة، والحافلة...

ومن خلال التقسيم المكاني الذي جاء به حسن بحراوي اعتماده على التقاطب المكاني المتمثل في:

الإقـــامة ⟵ الانتقال

الإجباري ⟵ الاختياري

العامة ⟵ الخاصة

كما يمكن تقسيم المكان إلى مكان مفتوح، ومكان مغلق:

***الأماكن المفتوحة:**

تمكن من: "تحديد السمة أو السمات الأساسية التي تتصف بها تلك الفضاءات وبالتالي الإمساك بما هو جوهري فيها أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها"[2] "فالأمكنة الفتوحة تكون

[1] إسماعيل زغودة بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة عبد الجليل مرتاض نموذجا، ص 197.

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص59

متاحة لجميع الشخصيات القصصية ولا تحدها حواجز وتسمح للشخصية بالتطور والحرية كالشوارع والحدائق العامة وما شابهها"[1].

***الأماكن المغلقة:**

وهي "المكان الذي يمارس فيه الفرد سلطته، يكون ذا علاقة أليفة وحميمة معه، يحس بامتلاكه وحرية التنقل فيه كالبيت الذي تربي وكبر فيه، أو الأماكن الخارجة عن البيت، ولكنها قريبة من نفسية الفرد، حيث تجده يتردد عليها باستمرار"[2].

كما "تعد الأمكنة المغلقة ظاهرة مكانية مجتمعية تؤثر على أشخاصها ويؤثرون فيها بما يملكون من عادات اجتماعية وأخلاقية، والأمكنة المغلقة متعددة منها الأليفة كالبيت الأسري، ومنها المسلية كالمقهى والملهى، ومنها الأمكنة المغلقة المخيفة كالسجن[3]"تمنح الأماكن المغلقة خصوصية المكان للشخص فبها "قد ينفتح عبر التداعيات والتصورات الخيالية التي تكسر الجدران السميكة وتمنح البطل فسحة ولوج حيز متخيل ومنفتح، على آفاق واسعة مستحضرة عبر أحلام اليقظة التي تقهر الواقع وتعطي للمكان أبعاده الحية[4]".

كما اعتمد شاكر النابلسي في تقسيمه للأمكنة على ما توصل إليه غالب هلسا في دراسته لأنماط الأمكنة، والتي يراها تنقسم إلى أربعة أنماط: « المكان المجازي: وهو المكان المفترض، ذو الوجود غير المؤكد، وتجده في رواية الأحداث المتتالية والتشويق، ورواية الفعل المحض، والمكان الهندسي: وهو المكان الذي تعرضه الرواية بأبعاده الخارجية، ويكون خاليا من المعلومات التفصيلية، والمكان الثالث، هو المكان ذو التجربة المعاشة: وهو المكان الذي عاشه الروائي وبعد أن ابتعد منه، أخذ يعيشه في

[1] محبوبة محمدي محمد آبادي: جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د ط، 2011م، ص.44

[2] كلثوم مذقن: دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال "للطيب صالح"، مجلة الأثر للآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، ع 04 2005 م، ص.142

[3] أنظر: محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص 56

[4] إدريس بودية: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص 181

الخيال، وهو المكان القادر على إثارة ذكرى المكان عند القارئ، والمكان الرابع، هو المكان المعادي: وهو المكان الهندسي المعبر عن الهزيمة واليأس.[1]

كما أشار غاستون باشلار إلى نماذج الفضاء فقال: "وضع هنري ميشو في داخلنا الخوف من الأماكن المغلقة clawstrophobia والخوف من الأماكن المفتوحة agoraphobia جنبا إلى جنب، وهو بهذا قد هوّل الخط الفاصل بين الداخل والخارج. وبفعله هذا –من منطق سيكولوجي– حطم اليقينيات الكسولة، للحدوس الهندسية، التي يسعى علماء النفس بواسطتها للتحكم بمكان، وحتى مجازيا لا شيء له صلة بالألفة يمكن اجتيازه داخل مكان مغلق، كما أنه يستحيل تحقيق الانسجام (بقصد تحقيق العمق) بين الانطباعات التي يتوالى انبثاقها"[2] و يقول "انفساح المكان أكثر مما يجب يشعرنا بالاختناق أكثر من المكان الأضيق"[3] ويضيف في نفس موضوع الانفتاح والانغلاق بقوله:" بسبب المسيرة اللانهائية على ظهور الخيل والحرية اللانهائية بالتحديد، وبسبب الأفق الذي لا يتغير، رغم رفض خيولنا اليائس، فإن سهل البامبا اتخذ طابع السجن بالنسبة لي، سجن أكبر من السجون الأخرى[4]"

[1] إسماعيل زغودة بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة عبد الجليل مرتاض نموذجا، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان الجزائر 2013 2014

[2] غاستون باشلار، جماليات المكان، ت: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1984ص 198-197

[3] م ن، ص 198

[4] م ن، ص 199

أهمية عنصر المكان:

يُعتبر المكان من أهم عناصر الرواية، حيث يمثل محوراً مهماً في تصوير الأحداث والشخصيات والأجواء التي تتم فيها الأحداث، ويساعد في تعريف السياق الزمني والمكاني للأحداث، ويمكن أن يعكس الثقافة والتقاليد والأعراف الاجتماعية للشخصيات الموجودة في الرواية.

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصره الفنية، بل لأنه يتحول إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية، ويكون هو المساعد على تطوير بناء الرواية.[1]

كما يلعب المكان دورا وظيفيا هاما في تكوين حياة الإنسان وترسيخ كيانه وتثبيت هويته وتأطير طبائعه، وبالتالي تحديد تصرفاته وتوجهاته وإدراكه للأشياء. وهذا لكونه أشد التصاقا بحياة الإنسان وأكثر تغلغلا في كيانه. وذلك لأن" المكان يدرك إدراكا حسيا، يبدأ بخبرة الإنسان بجسده: هذا الجسد) المكان (أو لنقل بعبارة أخرى) مكمن (القوى النفسية والعقلية والعاطفية والحيوية للكائن الحي") (ليتعداه بعدها إلى الحيز الذي يحتويه، ثم إلى البيت، ثم غيره من الأمكنة.[2]

وتتراتب أهمية هذه الأمكنة التي تحتوي الإنسان لشدة أو ضعف علاقة الإنسان بها، ولعل ما يفسر أهمية المكان أكثر، ويعكس شدة تغلغله في كيان البشر هو أنه المنطلق لتفسير كل تصرف، في حكم على سلوك الإنسان من خلال تواجده في المكان فضلاً عن تعبير كل مفاهيم الإنسان الأخلاقية، والنفسية والسلوكية... إلخ بتعبير مكاني كأعلى وأسمى، وواسع الصدر. أو ضيقه.[3]

ويمد المكان الإنسان بتصوراته ومفاهيمه ويكون دعامة أساسية لكل تصور إنساني... ويرى شارل غريفل أن الفضاء الروائي هو الذي يكتب القصة حتى قبل أن تسطرها يد المؤلف، إن المكان في الرواية هو خديم الدراما، فالإشارة إلى المكان تدل على أنه جرى أو سيجري به شيء، فمجرد

[1] ينظر: سليم بتقة: تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع، 06 2010م، ص 1

[2] محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية, ص 92

[3] م ن، ص ن، ص 92

الإشارة إلى المكان كافية لكي تجعلنا ننتظر قيام حدث ما، وذلك أنه ليس هناك مكان غير متورط في الأحداث[1].

إن تشخيص المكان في الرواية، هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئاً محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيتها، أنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور والخشبة في المسرح. وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني. غير أن درجة هذا التأطير وقيمته تختلفان من رواية إلى أخرى، وغالباً ما يأتي وصف الأمكنة في الروايات الواقعية مهيمناً بحيث نراه يتصدر الحكي في معظم الأحيان، ولعل هذا ما جعل «هنري متران» يعتبر المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة.[2]

أشار "حميد لحميداني" إلى الأهمية التي يحتلها المكان داخل الرواية باعتباره محركا للأحداث وأداة للتعبير، فيقول في ذلك "المكان يساهم في خلق المعنى داخل الرواية ولا يكون دائما تابعا أو سليبا، بل إنه أحيانا يمكن للروائي أن يحول عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال في العالم[3] ويضيف حسن بحراوي أن "المكان أو الفضاء الروائي يعتبر عنصرا شكليا فاعلا في الرواية لما يتوفر عليه من أهمية كبرى في تأطير المادة الحكائية وتنظيم الأحداث والحوافز.. وكذلك بفضل بنيته الخاصة والعلائق التي يقيمها مع الشخصيات والأزمنة والرؤيات".[4]

وفي إشارة أخرى يرى "أن المكان لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث والرؤيات السردية...

[1] ينظر حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 30

[2] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 65

[3] م ن، ص 70

[4] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1990، ص20

وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد.[1]

ويرى غاستون باشلار أن الفائدة الرئيسية للبيت –بصفته مكانا– بقوله: البيت يحمي أحلام اليقظة والحالم ويتيح للإنسان أن يحلم بهدوء. ويضيف أن البيت جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول.[2] ويتطرق سيزا قاسم أن دراسة المكان في الرواية تقوم على تشكيل عالم من المحسوسات قد تطابق عالم الواقع وقد تخالفه، في صور ولوحات تستمد بعض أصولها من فن الرسم والتصوير. أما تنظيم الفراغ إلى مناطق مختلفة تنفصل أو تتصل لتتقارع أو تتناغم فإنه بناء يقترب من مفهوم تصميم البناء في فن العمارة.[3]

إن التلاعب بصورة المكان في الرواية يمكن استغلاله إلى أقصى الحدود، فإسقاط الحالة الفكرية أو النفسية للأبطال على المحيط الذي يوجدون فيه يجعل للمكان دلالة تفوق دوره المألوف كديكور أو كوسط يؤطر الأحداث إنه يتحول في هذه الحالة إلى محاور حقيقي ويقتحم عالم السرد محررا نفسه هكذا من أغلال الوصف.[4]

إن المكان بالرغم من أهميته بالنسبة للرواية، إلاّ أنه لا يتبلور ولا يتشكل إلّا من خلال الشخصيات التي تشغله وتصنع الأحداث وتكشف عن أثر المكان بها وأثرها في هذا المكان، "أي إن الشخصيات تضفي على المكان دلالات مجازية، يحققها المؤلف من خلال نزوع الشخصيات البطلة في خلق نظام مكاني يؤسس ضمن فوضى المكان الذي يزجهم فيه المؤلف، والذي يحقق أيضاً ، منظوره الفلسفي والجمالي من جانب، ومنظور أبطاله الإيديولوجي والنفسي من جانب آخر"[5]

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 26

[2] غاستون باشلار، جماليات المكان، ص 38,37

[3] سيزا قاسم، بناء الرواية، هيئة الكتاب 2004 ص107

[4] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى: آب 1991 ص 71

[5] جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، مهدي عبيدي، منشورات الهيئة العامة للكتاب، دمشق , 2011 ص 188

ويضيف مهدي عبيدي "إن المكان يقوم بدورٍ مهمٍ في ممارسة الشخصية لطقوسها، وفي نوع لباسها، وسكانها، وحتى وسائل مواصلاتها، فعلاقة الشخصيات بالمكان قائمة على الاستمرار ولا وجود للشخصيات خارج المكان .وبما أن الرواية تنطلق من الإنسان وإليه، فإنها تتناول الإنسان وعلاقاته، وكلما كانت هذه العلاقات متشابكة، معقدة، متنوعة، تعطي للرواية الحياة والدينامية، وبالقدر نفسه الذي يؤثر المكان في الشخصية التي تؤثر في المكان في محاولة لإبداعه من جديد عن طريق الانتقال التدريجي إلى الحضارة .أي يتم ذلك بالتأثيرات المتبادلة .وإن بعض الأمكنة لها سطوتها وقوتها التي لا ترد، كالأمكنة الأسطورية أو الخيالية أو الدينية ...وغيرها .وهذه الأمكنة تخضع الإنسان لسيطرتها وعتوها وجبروتها، تعتريه نوبة من الخشوع والرهبة والخوف والإدهاش.[1]

وإن للأمكنة علاقة برسم الشخصيات الروائية، هذا من ناحية، أما على أرض الواقع فإن المكان يدل على صاحبه، فالبحر يدل على البحار والريس، والسجن يدل على السجان والمحقق والسجناء ونوعياتهم، والمدينة تدل على سكانها، والحي الشعبي يدل على سكانه، والمقهى والملهى يدلان على مرتاديهما، ... وغير ذلك، ولذلك فإن وصف المكان يسهم في إضفاء صورة عن الشخصية الملاحقة لهذا المكان والمندمجة فيه وفي فضائه، تستلهم أحداثها من هذا المكان ويستلهم من الشخصية سماته .فالمكان يدمج الشخصية، "والمكان هو حاضن الشخصيات والثقافات وهو حامل التراث والجغرافية والتاريخ، يتفاعل الإنسان معه ويبني علاقات توصف بالمصيرية والحميمية، لأنه بهذه الصفة يعني الوطن إن كان على مستوى البيت، أو الحي الشعبي، أو المدينة، أو البحر، يمارس فيه حياته ويكتسب العادات والأخلاق .لهذا فارتباط الشخصية بالمكان ارتباط مصيري من الولادة وحتى الموت، وما بعد الموت يدفن ويوارى في التراب، ليصير جزءاً من ذراته، فهل بعد هذا التوحد شك في وحدتها؟[2]

[1] جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، مهدي عبيدي، ص 192

[2] م ن، ص 193

جمالية عنصر المكان:

إن الجمالية "علم يبحث في معنى الجمال من حيث مفهومه وماهيته ومقاييسه ومقاصده والجمالية في الشيء تعني أن "الجمال" فيه حقيقة جوهرية وغاية مقصدية، فما وجد إلا ليكون جميلا وعلى هذا المعنى انبنت سائر الفنون الجميلة بشتى أشكالها التعبيرية.[1]

وقد كانت فكرة كانط في الجمال قاسية فالجمال المحض لا يتمثل سوى في الشكل المحض =عنده= في الأشكال التي يختفي فيها كل مضمون، كالنقوش والزخارف والزينة في شكل الأوراق، وهي أشكال لا معنى لها في نفسها.[2]

يعد المكان أحد أهم العناصر السردية المساهمة في بناء العمل الروائي، إذ يعتبر مكونا هاما ومادة تستحيل صيرورة العمل السردي بدونها، ذلك أنه لا وجود للشخصيات والأحداث بمعزل عن الإطار المكاني. وفي ذلك يقول غاستون باشلار أن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية، فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته.[3]

إننا إذا نظرنا إلى الأدب العالمي لا يمكننا تصور أعمال أدبية بدون عنصر المكان، فرواية مثل موبي ديك يمثل البحر فيها مسرحا واحدا لا يمكن بدونه سير الأحداث ولا الشخصية، وكذلك الحال في روايات نجيب محفوظ الذي سنرى في روايته القاهرة الصغيرة طغيان عنصر المكان على الأحداث والشخصيات فلو عزلناها عن حدود مكانها لخزجنا بأعمال باهتة ناقصة لا روح فيها.

مما يميز المكان أنه مرن، بحيث يتغير ويتعدد بتغير وتعدد الأحداث وتطورها، ويكون عاملا هاما وحاسما في تغير الشخصيات تغيرا داخليا، فهو قادر على تغيير تفكيرها وأسلوب عيشها وأيديولوجياتها، وهذا المثال نراه جليا واضحا في روايتنا رواء مكة التي نحن بصدد دراساتها.

[1] فريد الأنصاري، مفهوم الجمالية بين الفكر الإسلامي والفلسفة الغربية، https://hiragate.com/7144/

[2] د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط 2004 ص 287

[3] م ن ص 06

إن جمالية المكان لا تنبع من مقدرة الكاتب الفنية على تمثل الأبعاد الهندسية للمكان الذي يصوره حتى وإن بلغ هذا التمثل درجة الإتقان ولكنها تنبع من مقدرته على جعل المكان يتمثل فيما يجوس في النفس من خلجات، وفي الحلم من نبضات، وفي اللاشعور من ذكريات، فإذا المكان يمثل في الحلم، وإذا الحلم يتجسد في المكان.[1]

ويعرّج سيزا قاسم أن الروائي عندما يبدأ في بناء عالمه الخاص الذي سوف يضع في إطاره الشخصيات ثم يسقط عليه الزمن (حيث أن الزمان لا يوجد مستقلا عن المكان) يصنع عالما مكونا من الكلمات. وهذه الكلمات تشكل عالما خاصا خياليا قد يشبه عالم الواقع وقد يختلف عنه وإذا شابهه فهذا الشبه شبه خاص يخضع لخصائص الكلمة التصويرية فالكلمة لا تنقل إلينا عالم الواقع بل تشير إليه وتخلق (صورة مجازية لهذا العالم).[2]

يقول مدحت الجيار في كتاب جماليات المكان "لا نريد بجمالية المكان ذلك المنحى الشكلي الذي اتسمت به الاتجاهات النقدية الجمالية طوال القرن الماضي أو القرن، ذلك أن الجمالية هي بحث في نسق العناصر المكونة للظاهرة، لبيان الوظيفة التي تقوم بها داخل العمل الأدبي بشكل عام"[3] عندما نألف مكان لا نقدر التعبير عنه بالطريقة العلمية أكثر مما نعبر عنه بالارتباط العاطفي الشاعري فالوصف المادي الحسي ليس كافيا في هذه الحالة فالمكان مرتبط أيضا بالشعرية التي تؤثر و توقظ مشاعر و أحاسيس و انفعالات الانسان. ولهذا يقول غاستون باشلار عن البيت: "البيت هو ركننا في العالم. إنه، كما قيل مرارا، كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى. وإذا طالعنا بألفة فسيبدو أبأس بيت جميلا".[4]

[1] أ.د. حسين بوحسون، جمالية المكان الفني (مقاربة نظرية)، مجلة دراسات جامعة طاهري محمد، بشار، جوان 2016 ص 15

[2] سيزا قاسم، بناء الرواية، هيئة الكتاب 2004 ص 108

[3] مدحت الجيار، جماليات المكان، مجموعة مؤلفين، دار قرطبة، الطبعة الثانية 1988، ص 21

[4] غاستون باشلار، جماليات المكان، ص36

علاقة المكان بالشخصية:

يمكن اعتبار المكان بمثابة أساس يرتكز على المميزات والتحديدات التي تطبع الشخصيات بحيث يجري التحديد التدريجي ليس فقط لخطوط المكان الهندسية وإنما أيضاً لصفاته الدلالية وذلك لكي يأتي منسجماً مع التطور الحكائي العام.[1]

يرى حسن بحراوي أن الشخصية الروائية فوق ذلك تعتبر العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى بما فيها الإحداثيات الزمانية والمكانية الضرورية لنمو الخطاب الروائي وأطراده[2].

فيليب هامون (Philip Hammond) في سياق حديثه عن الوظيفة الأنثروبولوجية لوصف المكان «إن البيئة الموصوفة تؤثر على الشخصية و «تحفزها» على القيام بالأحداث وتدفع بها إلى الفعل حتى أنه يمكن القول بأن وصف البيئة هو وصف مستقبل الشخصية»[3].

ويتطرق حسن بحراوي في كتابه بنية الشكل الروائي على أنه أثناء تشكيل الروائي للفضاء المكاني الذي ستجري فيه الأحداث سيعمل على أن يكون بناؤه له منسجماً مع مزاج وطبائع شخصياته وألا يتضمن أية مفارقة، وذلك لأنه من اللازم أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تعيش فيه أو البيئة التي تحيط بها بحيث يصبح بإمكان بنية الفضاء الروائي أن تكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية بل وقد تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها.

ويشير أيضا أنه بالرغم من أن الأمكنة في الرواية يأتي مرتبطاً بتقديم الشخصيات فإن هذه الأخيرة لا تخضع كلياً للمكان بل العكس هو الذي سيحصل إذ أن الأماكن، في هذه الحالة، هي التي سيوكل إليها مساعدتنا على «فهم» الشخصية.[4]

---

[1] ينظر، بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ص 30

[2] م ن ص 20

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 30

4 م ن، ص31 ,30

وهناك اتجاه يرى أن هناك تطابقا بين الشخصية والفضاء المكاني ويعتبر أن الأخير هو تعبير عن الشخصية، كما يقول ويليك ووارين في كتابه نظرية الأدب: «إن بيت الإنسان امتداد له. فإذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان» ويُعرج إلى أن المكان يبدو كما لو كان خزانا حقيقيا للأفكار والمشاعر والحدوس، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر كل طرف فيها على الآخر.[1]

كما ظهرت اتجاهات أخرى تعطي للشخصيات أهمية أكبر في بناء المكان المحيط بها، وفي نفس الوقت لم تغفل عن الفروقات الشكلية والوظيفية التي تجعل من الشخصية مختلفة عن المكان. فترى أن المكان لا يظهر إلا من خلال وجهة نظر شخصية كائنة فيه وله ارتباط بالشخص الذي يندرج فيه. وعلى مستوى السرد فإن نظور الشخصية هو الذي يرسم أبعاد الفضاء الروائي يشكل ثيمته العامة ويحقق أهدافه.[2]

كما أشار "عبد المالك مرتاض" إلى العلاقة بين عناصر الرواية فقال: "أن العلاقة بين العناصر المكونة للرواية من زمان ومكان وشخصيات هي علاقة تكامل وتلازم ولا يمكن الفصل بينها، فالروائي) من خلال هذه الأطراف يتشكل النسيج السردي التي تتضافر لتشكيله. . . لتكون بمنزلة الأدوات التقنية في التعامل مع الحيز واللعب باللغة وملاعبة الشخصية).[3]

يرى ياسين النصير أن "المكان هو الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الانسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءا من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه. ويعرّج أنه ومنذ القدم وحتى الوقت الحاضر كان المكان هو القرطاس المرئي والقريب الذي سجل الانسان عليه ثقافته وفكره وفنونه، مخاوفه وآماله، أسراره وكل ما يتصل به وما وصل إليه من

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 31، 32.

[2] م ن، ص32

[3] ينظر: عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، 236

ماضيه ليورثه إلى المستقبل. ومن خلال الأماكن نستطيع قراءة سيكولوجية ساكنيه وطريقة حياتهم وكيفية تعاملهم مع الطبيعة. أي. المكان من خلال منظور التاريخ".[1]

وهذا يبرهن على أن "المكان حقيقة معاشة، يؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي، ويحمل المكان في طياته قيما تنتج من التنظيم المعماري، كما تنتج من التوظيف الاجتماعي والطريقة التي يدرك بها المكان تضفي عليه دلالات خاصة[2]".

إن التلاعب بصورة المكان في الرواية يمكن استغلاله إلى أقصى الحدود، فإسقاط الحالة الفكرية أو النفسية للأبطال على المحيط الذي يوجدون فيه يجعل للمكان دلالة تفوق دوره المألوف كديكور أو كوسط يؤطر الأحداث إنه يتحول في هذه الحالة إلى محاور حقيقي ويقتحم عالم السرد محررا نفسه هكذا من أغلال الوصف.[3]

إن المكان بالرغم من أهميته بالنسبة للرواية، إلاّ أنه لا يتبلور ولا يتشكل إلّا من خلال الشخصيات التي تشغله وتصنع الأحداث وتكشف عن أثر المكان بها وأثرها في هذا المكان، "أي إن الشخصيات تضفي على المكان دلالات مجازية، يحققها المؤلف من خلال نزوع الشخصيات البطلة في خلق نظام مكاني يؤسس ضمن فوضى المكان الذي يزجهم فيه المؤلف، والذي يحقق أيضاً ، منظوره الفلسفي والجمالي من جانب، ومنظور أبطاله الإيديولوجي والنفسي من جانب آخر"[4]

ويضيف مهدي عبيدي "إن المكان يقوم بدورٍ مهمٍ في ممارسة الشخصية لطقوسها، وفي نوع لباسها، وسكانها، وحتى وسائل مواصلاتها، فعلاقة الشخصيات بالمكان قائمة على الاستمرار ولا وجود للشخصيات خارج المكان .وبما أن الرواية تنطلق من الإنسان وإليه، فإنها تتناول الإنسان

[1] ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، ص 17

[2] يوري لوتمان: جماليات المكان، ص 63

[3] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى: آب 1991 ص 71

[4] جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، مهدي عبيدي، منشورات الهيئة العامة للكتاب، دمشق , 2011 ص 188

وعلاقاته، وكلما كانت هذه العلاقات متشابكة، معقدة، متنوعة، تعطي للرواية الحياة والدينامية، وبالقدر نفسه الذي يؤثر المكان في الشخصية التي تؤثر في المكان في محاولة لإبداعه من جديد عن طريق الانتقال التدريجي إلى الحضارة .أي يتم ذلك بالتأثيرات المتبادلة. وإن بعض الأمكنة لها سطوتها وقوتها التي لا ترد، كالأمكنة الأسطورية أو الخيالية أو الدينية ...وغيرها. وهذه الأمكنة تخضع الإنسان لسيطرتها وعتوها وجبروتها، تعتريه نوبة من الخشوع والرهبة والخوف والإدهاش.[1]

وإن للأمكنة علاقة برسم الشخصيات الروائية، هذا من ناحية، أما على أرض الواقع فإن المكان يدل على صاحبه، فالبحر يدل على البحار والريس، والسجن يدل على السجان والمحقق والسجناء ونوعياتهم، والمدينة تدل على سكانها، والحي الشعبي يدل على سكانه، والمقهى والملهى يدلان على مرتاديهما، ... وغير ذلك، ولذلك فإن وصف المكان يسهم في إضفاء صورة عن الشخصية الملاحقة لهذا المكان والمندمجة فيه وفي فضائه، تستلهم أحداثها من هذا المكان ويستلهم من الشخصية سماته .فالمكان يدمج الشخصية، "والمكان هو حاضن الشخصيات والثقافات وهو حامل التراث والجغرافية والتاريخ، يتفاعل الإنسان معه ويبني علاقات توصف بالمصيرية والحميمية، لأنه بهذه الصفة يعني الوطن إن كان على مستوى البيت، أو الحي الشعبي، أو المدينة، أو البحر، يمارس فيه حياته ويكتسب العادات والأخلاق. لهذا فارتباط الشخصية بالمكان ارتباط مصيري من الولادة وحتى الموت، وما بعد الموت يدفن ويوارى في التراب، ليصير جزءاً من ذراته، فهل بعد هذا التوحد شك في وحدتها؟[2]

[1] جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، مهدي عبيدي، ص 192

[2] م ن، ص 193

أنسنة المكان:

تعد الأنسنة من أروع القيم الجمالية في الفن، لأنها رؤيا فنية فائقة لا تخضع للمقاييس المنطقية، ولا تشابه الأحداث الواقعية، يضفي فيها الفنان صفات إنسانية محددة على الأمكنة، والحيوانات، والطيور، والأشياء، وظواهر الطبيعة حين يشكلها تشكيلا إنسانيا، ويجعلها كأي إنسان تتحرك، وتحس، وتعبر، وتتعاطف، وتقسو حسب الموقف الذي أنسنت من أجله[1].

والأنسنة ظاهرة عامة في الفن، والفنان حين يؤنسن الأمكنة والحيوانات والطيور والأشياء وظواهر الطبيعة، ويخضعها لعملية تفاعل حميمة مع الإنسان، لتحقق الدور الإنساني الذي أسنده إليها حين طمح إلى تشكيلها تشكيلا إنسانياً ذا ملامح محددة، وتعابير بينة، في عمله الإبداعي يمنحها – وهو في ذروة حالته الانفعالية- خاصيته الإنسانية.[2]

إن الأمكنة تلعب في حيال الناس دورا لا يختلف عن ذلك الذي يلعبه الأشخاص. إن فتنتها وسحرها يصبحان فتنة وسحرا إنسانيين. إنها تحمل اسما يؤنسنها ويفردها، تعرض نفسها وتتوارى، تخفي أسرارها، تحث على الرغبات، ترفع حجب الجمال. وأكثر من ذلك يؤكد بولي: إن الأمكنة أشخاص، أي يصبح المكان، بمعنى ما، شريكا حقيقيا للشخصية في الفعل الروائي[3].

ولأنسنة المكان دور في الوقوف على الشحنات النفسية والوجدانية التي تؤجج مشاعر الشخصية الروائية، وما تخفيه من خوف، وفرح وذكريات بالعودة إلى الماضي، وهذا يشكل حافزا للقارئ للتواصل مع الخطاب الروائي والاقتراب الوجداني من النص الروائي الذي يمثل البطل بؤرة أحداثه[4].

---

[1] د. مرشد أحمد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف, دار الوفاء لدنيا الطباعة ص 7

[2] م ن، ص ن

[3] شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، حسن نجمي ص 140

[4] د. عمر شطة، أنسنة المكان في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج، مجلة إشكالات في اللغة والأدب مخبر علوم اللسان، جامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر 2021مجلد 10عدد 4 ص12

إن إضفاء ملامح إنسانية سامية على مظاهر الطبيعة وظواهرها لجعل الحياة تتوازن وتتكامل، وتتسم بطابع الروعة... بسبب تعاطفها مع الإنسان ومناصرتها له وقت المحن، وارتباطها بالمثل الأعلى، وتعبيرها عن الحياة تعبيرا حيا رائعا والرائع هو الكائن الذي نرى فيه الحياة، الحياة كما يجب أن تكون حسب مفاهيمنا، والرائع هو الشيء الذي يظهر في ذاته، أو الذي يذكرنا بالحياة، التي يجب أن تعيشها.[1]

ميّز أحمد مرشد في دراسته لروايات عبد الرحمن منيف أنسنة المكان إلى سمات حسنة حسنة وسمات سيئة، فالسمات الإنسانية الحسنة التي تميز الإنسان بها هي:[2]

1- الوعي: إن الوعي سمة ذات مردود كبير على من يتصف بها، لأنها تمكنه من معرفة الحقائق والأمور والإلمام بها، ورصد العلاقات الإنسانية المتغيرة.

2- الوفاء: إن الوفاء ملكة إنسانية عظيمة، تدل على نبل السلوك الإنساني وأصالته، وتقدس أواصر العلاقات الإنسانية السامية، وهي عامل فعال يجبر الكائن الإنساني على أن يبقى مخلصا للإنسان الآخر الذي ارتبط معه بعلاقة إنسانية أصلية إذا تعرض لأمر مكروه. وإنسانية المكان تتجلى بوفائه لأبنائه رغم التحولات المتعددة التي طرأت عليه، وغيرته تغييرا جذريا، ووفاؤه لأبنائه في ظل هذه الحالة المؤلمة هو سلوك إنساني رائع ومؤشر على الوعي الأخلاقي الذي يتميز به.

3- التعاطف: التعاطف سمة إنسانية حسنة تحد من أنانية الإنسان وتهذب سلوكه، وتعلي شأن الإنسان الآخر، وتزيل مساوئه إذا كانت له مساوئ، وتجسد محبته، والشعور بالتعاطف يتبلور بحالتين تحددهما حالة الإنسان المعطوف عليه، فيشعر الإنسان بالحزن العميق على الحالة الصعبة التي آل إليها الإنسان الآخر، وبالغبطة على ما ينعم به الإنسان الآخر من يسر وهناء وفرح في الحياة، والأمكنة

[1] بتصرف مرشد أحمد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية الطبعة الأولى 2003ص 76 77

[2] مرشد أحمد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف ، ص 13

التي تحترم ذكرى أبنائها، والذين وفدوا إليها واحتضنتهم وظلت وفية لهم رغم قسوة الظروف الصعبة التي تداهمها، لابد أن تتعاطف معهم، وتشعر نحوهم شعورا يناسب الموقف الذي هم فيه، فتعاطف الأمكنة مع أبنائها هو الوجه الآخر لوفائها لهم.

4- الشجاعة: سمة حسنة في الإنسان، وذات أثر فقال في سلوكه لأنها تمده بطاقة معنوية هائلة تجنبه الوقوع في شرك التقاعس والتراخي في أداء واجباته التي تتطلب إرادة صلبة، وتمكنه من الثبات في وجه الأزمة التي تحاصره، والتغلب عليها، وتجاوزها وشجاعة المكان تتجسد بصموده في وجه المحنة القاسية التي يعاني منها، وبسعيه الدؤوب من أجل التغلب عليها، وتجاوزها بإصرار شديد.

أما السمات الإنسانية السيئة (السلبية) التي اتسم بها المكان فهي:[1]

1- العجز: هو سمة سلبية تدل على حالة ضعف تعتري المكان، فتضعف قواه، وإرادته، وتحد من قدراته ومعارفه، وتبلد إحساسه وشعوره، وتمنعه عن أداء واجباته نحو بشره، والإحساس بمعاناتهم.

2- التحول: يعد التحول سمة سلبية في شخصية المكان وسلوكه، ومشاعره، ومبادئه، إذا كان تحولا تراجعيا أي من حالة حسنة إلى حالة سيئة!)، ولذلك يكون دليلا على حالة ضعف في شخصية المكان.

3- الخوف: سمة سلبية تعتري المكان نتيجة شعوره بخطر موهوم غير مرئي، أو حقيقي ملموس، يولد في أعماقه انفعالا دائما أو عابرا حسب ماهية الخطر اذي يشعر به، وإذا هيمن الانفعال بالخطر على نفسية المكان وسلوكه، وحد من نشاطه الحياتي، ودفعه إلى القيام بأفعال وضيعة، يكون جبنا، ولذلك يغدو التخلص من الخوف ضربا من الرجولة والشجاعة.

القسوة: سمة ممقوتة، تكون آنية أو دائمة، تعتري المكان نتيجة تصرفه تصرفا غير إنساني وأخلاقي، يتنافى مع مبادئه الإنسانية السامية، وسلوكه الأخلاقي، هذا التصرف الخالي من الروح الإنسانية، والمجرد من القيم الأخلاقية، يقلل من إنسانية المكان وأخلاقيته، ويحط من شأنه، ويصغره في أعين

[1] ينظر أحمد مرشد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، ص 26

بشره وقلوبهم، ويجعلهم ينظرون إليه نظرة قاسية، لأنه يولد في نفوسهم مشاعر السأم والكره، ويملأ حياتهم بالعذاب والقهر والأسى. ولذلك بدت أنسنة الطبيعة رائعة بسبب تعاطفها مع الإنسان، ومناصرتها له وقت المحن، وارتباطها بالمثل الأعلى، وتعييرها عن الحياة تعبيرا حيا رائعا والرائع هو الكائن الذي نرى فيه الحياة، الحياة كما يجب أن تكون حسب مفاهيمنا، والرائع هو الشيء الذي يظهر في ذاته، أو الذي يذكرنا بالحياة، التي يجب أن نعيشها.[1]

[1] أحمد مرشد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، ص 27،26

الفصل الثاني

سلطة المكان في رواية رواء مكة

قراءة العتبة

الأماكن المغلقة في رواية رواء مكة

الأماكن المفتوحة في رواية رواء مكة

علاقة المكان بالشخصيات

تأثير المكان على الشخصيات

علاقة المكان بالحدث الروائي

1- قراءة العتبة:

العتبات مهمة في مجال تحليل النص الأدبي؛ لأنها تسعف الباحث، أو الناقد، أو المحلل، في فهم النص الأدبي وتفسيره وتأويله[1].

يعد العنوان من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص الرئيس، حيث يساهم في توضيح دلالات النص، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية، إن فهما وإن تفسيرا، وإن تفكيكا وإن تركيبا. ومن ثم، فالعنوان هو المفتاح الضروري لسبر أغوار النص، والتعمق في شعابه التائهة، والسفر في دهاليزه الممتدة. كما أنه الأداة التي بها يتحقق اتساق النص وانسجامه، وبها تبرز مقروئية النص، وتنكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة. وبالتالي، فالنص هو العنوان، والعنوان هو النص، وبينهما عالقات جدلية وانعكاسية، أو عالقات تعيينية أو إيحائية، أو علاقات كلية أو جزئية.[2]

وباعتبار ما سبق، سنحاول كشف دلالة عنوان روايتنا "رواء مكة"، فقد تمتع هذا العنوان ببساطة تعبيرية وكثافة دلالية، من خلال رمزيته التي تساعد في اكتشاف كنه النص السردي، ولأنه يتمتع بخاصية استراتيجية لأنه يتصدر الفضاء النصي للعمل الأدبي، فالعنوان "المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة من المعاني التي ستساعدنا في فك رموز النص وتسهيل مأمورية الدخول في أغواره وتشعباته"[3]

من الناحية اللغوية فعنواننا عبارة عن جملة اسمية مكونة من مفردتين الأولى هي رواء ممدودة بفتح الراء أي عذب[4]، والثانية اسم علم (مكة)، وهي بلد الله الحرام.

---

[1] جميل حمداوي، سيميوطيقا العنوان، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، الناظور- تطوان/المملكة المغربية، الطبعة الثانية 2020، ص 5

[2] م ن، ص 8

[3] حمودي بن العربي: سيميائية العنوان في مسرحيته "مسافر ليل" لصلاح عبد الصبور، مجلة الحوار المتمدن، محور الأدب والفن، ع 3098، 2010 م، ص 02

[4] ابن منظور لسان العرب، مادة روي، ص 1784

ومن ناحية ارتباط العنوان بالرواية فإن كلمة رواء هي وصف للكلمة التي بعدها "مكة" والتي تقوم عليها أحداث السيرة الروائية لحسن أوريد، فالكاتب يعيرنا الانتباه إلى مسألة عذوبة المكان وجماليته ولهذا جاءت كلمة "رواء" نكرة في دلالة على عمومية وصف المكان وشموليته.

إن الكاتب لم يختر عنوان سيرته الروائية اعتباطا، فمكة كانت بالنسبة له محطة تحول في حياته، تغيرت معها كثير من أيديولوجياته ومعتقداته، فقد كان له هذا المكان بحق رواءً على إيمانه ونقطة تغيير مفصلية في شخصيته. ولهذا يقول "أكتب هذه الخواطر ثلاث سنوات بعد أدائي فريضة الحج، وأسعى أن أفهم ماذا جرى.. كل التحولات العميقة في حياة الأفراد كما في حياة المجتمعات تأتي وليدة حتى لا تكاد ترى.."[1] ويضيف "... وحدث ذلك التحول الذي أحالني شخصا آخر في رحاب مكة..."[2].

[1] حسن أوريد، رواء مكة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2019، ص49.

[2] م ن، ص ن

2- الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة:

نجد في كل رواية أمكنة تتنوع وتتفرع بتفرع الأحداث والشخصيات وتنوعها، فالأمكنة المفتوحة تمنح شخصيات الرواية حيزا مفتوحا تستطيع من خلاله التنقل والحركة، أما الأمكنة المغلقة فتمثل الثبات والاستقرار. فالمكان لا يكتسب قيمته ووجوده إلا بأبعاده الهندسية ووظائفه في النص السردي. لذا سنقوم بالتركيز على الأمكنة المغلقة والمفتوحة في رواية "رواء مكة" ومحاولة تحليلها واكتشاف جمالياتها.

1- الأماكن المغلقة:

هي أمكنة محددة المساحة وتتميز بخاصية الانفتاح والانغلاق، تكون إما اختيارية تحمل صفات الحميمية والألفة والأمان كالبيت أو المسجد أو القصر. وإما إجبارية عكس مشيئة الإنسان والفرد كالسجن مثلا...

1_1_ البيت: إن البيت هو المكان المهم والمتميز في حياة الإنسان، إنه أول مكان يعرف فيه الدفء ومعنى الأسرة، فيه يتاح له التعبير والتصرف بحرية ولهذا يعتبر عاملا مهما لصحته النفسية والعقلية، كما أنه وعاء الذكريات ومكان الأنس والراحة يحمي أحلام اليقظة والعالم ويتيح للإنسان أن يحلم بهدوء، ونظرا لأن ذكرياتنا عن البيوت التي سكناها نعيشها مرة أخرى كحلم اليقظة والحالم، فإن هذه البيوت تعيش معنا طيلة الحياة"[1]

يعدّ البيت حاويا للأفكار والذكريات والأحلام وبهذا الوصف لا نستطيع اعتباره مكانا من أغراض وأثاث وجدران، إنه يتجاوز ذلك كله إلى "اللمسات الموحية بالروح التي تسكنه، لقد أصبح البيت دلالة تنطلق من زواياه لتدل على الإنسانية"[2]

[1] غاستون باشلار، جماليات المكان، ص 37 38

[2] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، عالم الكتب الحديث، الذبعة الأولى، ص 205

إننا نجد البيت في الرواية بيتا هادئا، روحانيا، يتسم بالدين والالتزام، فيقول الكاتب في وصفه "كانت هناك إشراقات تغري بأن أعود إلى بيتي الأول. بيتي الذي سمعت فيه صوت القرآن يُتلى من الفجر يصدح به والدي، وفيما ناغتني به والدتي من أشعار أمازيغية في مدح الرسول عليه أزكى الصلاة والسلام، أو هي تتلو عليّ قصة النبي يوسف عليه السلام، ثم فيما غرسته جدتي في نفسي، ورعاء والدي"[1] فبيت الكاتب هو المكان الذي استمد منه ذلك الميراث الديني حيث كان يرى أفراد أسرته يقيمون فيه شعائر الدين يذكر كذلك: "كانت جدتي قد نهضت مع الفجر من غرفتها المشرفة على الحوش، وصلت الصبح، ثم اقتعدت في زاوية من الغرفة تذكر الله"[2] ثم يسترسل في ذكرياته حول بيته فيقول: "ثم أراني قد صعدت الدرج حيث والدي في الغرفة، فيخرج أبي فرحا مبتهجا وهو يسمع ندائي، نداء القرآن."[3]

2- المستشفى:

يمثل المستشفى مكانا مغلق الحدود، فهو مكان مخصص للاستشفاء والتطبيب، وهو يأخذ صفة الانغلاق ولكنه عكس البيت مكان للإقامة المؤقتة تمكث فيه الشخصية مدة محددة ثم تغادره. إنه ملجأ كل مريض، يقدم العلاج الأمثل، لمختلف الأمراض... فيه يستشعر الاطمئنان، ويأمل في الشفاء"[4].

في رواية رواء مكة كان المستشفى محطة للشخصية الرئيسية، يقول "وقصدت فرنسا مرّتين لإجراء العملية لمعالجة الخطأ الطبي عند عند من يعدّ من كبار المختصين، وفي أرقى المستشفيات، ولم تكلّل العملية بالنجاح. فلم أر بدا أن أقصد طبيبا مغربيا في مستشفى عمومي.. وهذا يدل على أن الشخصية كانت دائمة التردد على هذا المكان، يضيف بعدها: "ووصلت المستشفى بالرباط خمس

[1] الرواية، ص 49
[2] الرواية، ص 82
[3] الرواية، ص ن
[4] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص 238

دقائق قبل الموعد المحدد قادما من الحفل الفلسطيني بمكناس. وحل الطبيب. لم يبد من ملامحه أنه كان واثقا بل لم يبدو أنه كان مهتما.. حصر في الموعد المضروب، ووصف لي مهدئات، ثم وعد بأن يأتي عند الغد على الساعة السابعة صباحا. وعنّ ذاك الطبيب في الموعد، كما لو هو ساعة سويسرية.. لا أزال أذكر والليل بهيم، وآلام شديدة تعتصرني بعد العملية، أني حاولت أن أمد يدي إلى ناقوس الممرضة، فلم أستطع لشدّة الآلام وبرحائه، فاستعضت بآلة التحكم عن بعد للتلفاز التي كانت على مقربة مني، أشعلت التلفاز لأسلو، لأنسى آلامي..."[1] ويعود في موضع آخر من الرواية ليذكر المستشفى وهذه المرة يدخله في بلد آخر "دخلت المستشفى. فحصني الطبيب، وشخّص داء الزائدة، وقرّر إجراء العملية على عجل... واستفقت على آلام الجرح... ولكن شيئا أخذ يعتمل في نفسي القلقة.. في فترة النقاهة التي أمضيتها بمستشفى بكوالالمبور انغرست بذرة فؤادي.. كلن الطبيب حفيا بي. وكان أن رُزِق ولدا، ولكنه رأى ألّا يبرحني. وسألته والطبيبة التي كانت تساعده لمَ أنتما حفيّان بي؟

أجابا: لأنّك أخ في الإسلام ولا يمكن أن نتركك وشأنك وقد غادر وفد بلدك"[2]

3- المسجد:

يعد المسجد مكانا مقدسا فيه يستمد الإنسان إيمانه وطاقته الروحية، فهو كالبيت من خلال ما يعطيه من راحة وأمان نفسي. ولقد كان لهذا المكان دور كغيره من الأمكنة في الرواية، يذكر حسن أوريد المسجد بقوله: "مسجد صغير في حي تيمدقين الشعبي بإفران، والبرد والثلج، والزمن بداية الثمانينات، والساعة العشاءان وعمري لا يربو على العشرين إلا قليلا. أقف على بوابة المسجد فلا أجد إلا الفراغ.. مصاحف في رفوف، ونور باهت من مصباح من عل السقف"[3] ثم يضيف بعدها: "توقفت بالمسجد ما بين العشاءين عسى أن أجد لأخي أثرا أو أسمع خبرا.. وتمليت بيت

[1] الرواية، ص 16

[2] الرواية، ص 69

[3] الرواية، ص 20

اللهو فلم أجد إلّا الفراغ.. كانت تلك اللحظة القطيعة مع كل موروثي، كما لو أني أودّعه.. لم أشعر بشيء يملأ ذلك المكان أو يختصه بشيء"[1]. نستنتج من هذا أن المسجد، هذا المكان الروحاني لم يكن بالنسبة للكاتب إلا مكانا فارغا، لا يعني له شيئا ولا يشعر اتجاهه بذلك الشعور الذي يمنحه هذا الأخير للعبد المسلم من راحة وطمأنينة وخشوع، ويؤكد هذا ما يضيفه في مقطع آخر من الرواية: "ذات مرة سألت والدي، وقد عاد من المسجد بعد صلاة المغرب، في صقيع إفران: "أما كان حريا بك أن تقبع هنا في البيت وسط الدفء، مع أولادك، عوض أن تقطع الطريق وسط هذا الزمهرير من بيتنا بحي الشباب إلى مسجد النيجر...؟"[2]

ويتطرق للمسجد وعلاقته به في طفولته أيضا حين يقول: "وبمسجد بوتالمين كنت أذهب أنا وأخي عبد الله نصلي مع أترابنا، وكأن صلاتنا ليست استجابة لدعوة الله وحدها ولكنها استشعار لبلوغنا..."[3].

ثم عندما يتغير تفكيره ويعود إلى دينه الذي فقده بأدائه شعائر الحج تتغير نظرته وعلاقته بهذا المكان ليستشعر قيمته الروحانية والإيمانية: "أرى المسجد بمنظار آخر غير النظرة التي رأيتها فيه في زيارتين رسميتين.. الذي راقني هو وظيفته الاجتماعية التي تتيح للناس أن يجلسوا بأفنائه وأن يتحادثوا ويمرحوا وينداموا وأن يلقوا الدروس في حلقاته. هي هذه الوظيفة التي نفتقدها في المغرب إذ أضحت المساجد أماكن للتعبد ليس إلّا.."[4].

ثم يصف زيارته لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: "زُرت قبر النبي عليه السلام ووقفت بين المنبر والقبر، والمعروف استنادا للحديث النبوي بأنه روضة من رياض الجنة. كان يعرف ازدحاما كبيرا، ولم يتأت لي أن أصلي ركعتين إلا بمحاذاته وليس ما بين المنبر والقبر.

[1] الرواية، ص 22
[2] الرواية، ص 25
[3] الرواية، ص 83
[4] الرواية ص 101 102

الزوار يملؤهم الخشوع والحراس ينهرونهم بلا إرعاء، ولا تحمل نبرتهم أي تقدير أو توقير. يصيحون على آثارهم: «يالله يا حاجي».[1] ثم يضيف: "استيقظنا قبل الفجر واتخذنا مجالسنا على الساعة الرابعة ونصف، وما هي إلا دقائق حتى امتلأ المسجد، وقد قرأ الإمام سورة الملك في ركعتين.. العجيب هو هذه الجموع من كل البلدان، الأجناس والثقافات. وفي ذلك قوة الإسلام."[2] وهذه المقاطع السابقة تبين التحول الجذري في الشخصية وتأثير عنصر المكان عليها فالذي كان لا يرى في المسجد شيئا خاصا أصبح هو نفسه يرى فيه السكينة والقوة.

4- الطائرة:

تعتبر الطائرة كذلك من الأمكنة المغلقة المؤقتة، وقد تناولها الكاتب في سيرته الروائية بصفتها مكانا يقله ويعبُر به وكذلك مكانا للتفكير والخطرات فهو فيها كان دائم الفكر والتساؤل يقول: " سأخلو بنفسي في الطائرة... واعترتني خطرات نيتشه والطائرة تتهادى في السماء، والمسافرون قد غادروا إلى شؤونهم بين من يتلو القرآن، ومن يذكر الله، ومن استسلم للنوم.. تساءلت في غمرة هذه الرحلة التي تحملني وأطيافا من المسافرين لِم أقيم في بيت ليس لي؟..."[3] ويعيد التساؤل: "أستدير من الكرسي، كرسي الطائرة، ذات اليمين وذات الشمال. أشياء تتهاوى عليّ دراكا كأنما هو البَرَد.. أضع ذراعي على رأسي كأنما أتحامى وقعه... ألا تدعني هذه الهجمات؟.. هو ماضيّ؟ وهل هو ماض؟ لقد أقبرته، أنا مقدم على الحج؟ وهل أقبرت الماضي؟ لا تزال أغلال تربطك به؟..."[4] ويستمر في طرح الأسئلة ومحاولة الإجابة عنها.

إن الطائرة بالرغم من أنها مكان مؤقت ثانوي إلا أنه قد طرح فيها تساؤلات مهمة لفهم واقعه والتصالح مع ذاته المقدمة على رحلة التغيير.

[1] الرواية، ص 102
[2] الرواية، ص ن.
[3] الرواية، ص 28
[4] الرواية، ص 44

2- الأماكن المفتوحة:

هي عكس الأماكن المغلقة، وهي فضاءات واسعة تلتقي فيها الشخصيات وتتحرك داخلها. لقد تنوعت الأماكن في رواية "رَواء مكة"، وكانت أماكن مهمة في البناء السردي وجماليته.

1- الصحراء: تعد الصحراء من أكثر الأماكن جمالا وسحرا، فهي مكان شاسع ويتميز بأهمية كبيرة جدا خصوصا في حياة العرب، إذ هي أرضهم ومكان ولادتهم، شغلت الأدباء والشعراء وألهمت إبداعهم منذ القدم. والصحراء، من منظور الروائي "ابراهيم الكوني: "الصحراء وحدها تغسل الروح ، تتطهر . تخلو. تتفرع. تتفضى .فيسهل أن تنطلق لتتحد بالخلاء الأبدي. بالأفق بالفضاء المؤدي إلى مكان خارج الأفق، وخارج الفضاء بالدنيا الأخرى. بالآخرة. نعم بالآخرة. هنا فقط، هنا في السهول الممتدة، في المتاهة العارية، حيث تلتقي الأطراف الثلاثة: العراء، الأفق، الفضاء، لتنسج الفلك الذي يسبح ليتصل بالأبدية بالآخرة"[1]

وكذلك كانت الصحراء مع الشخصية الرئيسية فهو على حسب قوله كان كلفا مولعا بها "كنت أبحث عن بقايا هذه الذهنية في الصحراء، كما لو أن الصحراء هي المتحف الذي يحفظ ما تبقى من هذه العقلية.. كنت كلفا بالصحراء أجوب فيافيها، وأقرأ آدابها، وأجمع أهلها فيما سلف من عمري، في بعض الثغاء من مهرجان كنت أشرف عليه.. هناك اكتشفت إبراهيم الكوني، أديب ليبيا النحرير. وتعرفت إلى شاعر ومغن كبير من الطوارق، ومن صحراء جانيت بالجزائر، عثمان بالي.. لا أزال أذكره وقد حل وأسرته ونحن على كثيب رمال مرزوة.. وكان له موعد مع الصحراء، في صحراء جانيت، حينما جرفته السيول. رحمه الله".[2] ويعرّج قائلا: "كنت أرى في الصحراء أرضا للقاء.. رباط الصحراء هو فكرة. الصحراء تهزأ بالمكان.. وكنت أجري وراء سراب.. أضحت الصحراء مزقا تأبى

[1] التبر، ابراهيم الكوني، رياض، اليس للكتب والنشر، لندن، سبتمبر 4884 ص: 453

[2] الرواية، ص 67 68

على بنيها أن ينتقلوا فيها.. بل صاروا يقتتلون من أجل خريطة، ومن أجل مكان يضيق بما رحب.. كنت أريدها نورا ينداح ليملا الأرجاء بلا تمييز بين الرّبى والآكام والكثبان والآطام"[1]

2- المدينة المنورة: كانت المدينة المنورة نقطة تحول في شخصية حسن أوريد، فمنها نظر للمسجد وللدين نظرة غير النظرة الأولى، يذكر: " بعد صلاة العشاء خرجنا مع مغربي يقيم بالمدينة ويشتغل في الفندقة. أخذنا إلى مكان موقعة أحد.. مكان مهمل وربوة هي المكان الذي كان به الرماة.. أما كان خليقا الاعتناء بهذا المكان عوض أن يكون شبيها بأسواقنا الأسبوعية؟" ويضيف " أخذنا مرافقنا المغربي إلى الجانب العصري من المدينة: تجليات العولمة، ساحات كبرى للتسوق، ماركات عالمية، مقاهي، مطاعم.. كأنما فصلت عن مكان العبادة. جانب آخر من المدينة. جلنا في أرجاء المدينة بالسيارة، وأراني المرافق جبلا به يوجد قصر الملك، وشرح لنا لنا أن الدجال سيخرج من هناك، ولكنه لن يدخل المدينة، وخرع المدينة -على خلاف مكة"[2] ويكمل تجواله في المدينة: "هذا الصباح بعد أن صليت الفجر خرجت مع الأهل لزيارة المزارات.. مكان الشهداء، ومسجد الخندق، أو المكان الذي وقعت به غزوة الخندق، ثم مسجد قباء... كانت المدينة ستكسب لو حوفظ على معالمها، لو أُبقي على واحتها، لو تمّ تعهد مزاراتها، عوض الإسمنت الزاحف وخردة الصين التي تملأ الأزقة والشوارع والحوانيت"[3] وهنا نأتي لفضاء الشارع "فالشارع اليوم ليس مجرد لفظ، بل إنه ليوشك على التحول إلى مفهوم معقد ما تنفك معانيه ودلالته تتعاظم وتتسع ووظائفه تتعدد وتتنوع"[4]

3- مكة: وهي الأساس من رحلة الحج ومنها اقتبس الكاتب عنوان الرواية. "ومكة مدينة متكاملة بعمرانها وبجغرافيتها المتميزة، فهي كيان متكامل الأركان، وتمثّل طبيعة مكة فضاء للهروب من ضغوطات الحياة، فضاء يأخذ بعدا جغرافيا بكل ما فيه... وتبقى مكة مدينة كغيرها من المدن مكانا

[1] الرواية، ص 68

[2] الرواية، ص104.

[3] الرواية، ص 105.

[4] عبد الصمد زايد: المكان في الرواية "الصورة والدلالة"، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2003م، ص90.

لالتقاء الطيب بالشرير والصالح بالطالح، وكأنها مائدة يلتف حولها الكل من مختلف الجنسيات للعبادة وللتجارة وللتسوق والسياحة، فهي نافذة الجميع، فمكة بطبيعتها مدينة مفتوحة على الثقافات المختلفة ومفتوحة على الحياة كلها، فمكة ليست مكانا منغلقا على ذاته مثل الكثير من المدن التي يقلّ زائروها، بل مكة هي الملتقى وهي مركز الكون كلّه"[1] يقول في وصفها: "كان الزحام متوقّعا في مكة. جنبات المسجد الحرام ممتلئة عن آخرها، الشوارع المحيطة به، السطوح، الأقبية.."[2] ويصفها أيضا: "يبدو الوجه الآخر لمكة على المرتفعات، وحضن الجبال والبنايات التي تحيط بالحرم: بنايات متواضعة جدا تشبه بنايات مدننا الصغيرة أو أحيائنا الشعبية.. هناك مكان للعلية من القوم، أصحاب "السياحة الروحية"، ثم هناك أماكن "للرعاع" من مختلف الشعوب الذين يأتون" ليكفِّروا عن خطاياهم وذنوبهم" وليعودوا "كما ولدتهم أمهاتهم".. لا وسط ولا توسط. فوضى عارمة، وقداسة مثلومة. بالتجارة التي تحيط كحلقة أو عقد بمحيط الحرم."[3]

كما ذكرت أماكن أخرى من شعائر الحج ونذكرها كالآتي:

-عرفات: "جم غفير يفصل في اتجاه عرفات رجالا وركبانا. جبال شامخة ومهيبة وشروق شمس مؤثر وأخاذ. جمالية المكان من قدسيته، وقدسيته من جماله."[4]

-منى: "كل هذا يهون أمام تجربة رائعة هنا بمنى... أقوام من كل مكان، ومن كل الأجناس، يرتدون لباسا واحدا، ويسكنون حضن الجبل، وهذا الذي يضفي قوة وجمالا على المشهد، ارتباطه بالطبيعة، وبالتجربة الأولى..."[5]

[1] د. بن جديد جمال، سيمياء المدينة مكة: القوة والدلالة، المركز الجامعي النعامة الجزائر، تاريخ النشر: 30/6/2021 ص 46; 47.

[2] الرواية، ص 106.

[3] الرواية، ص 131 132

[4] الرواية، ص 110

[5] الرواية، ص 109

-الجمرات: "عدت توا من الجمرات بعد أن رميتها في أماكنها، الجمرة الصغرى ثم الوسطى فالكبرى. زحام شديد، وأقوام من كل فج..."[1]

-أحد: "نظرت إلى أُحد وساحة المعركة نظرة أخرى غير النظرة المجردة التي تراءت لي من مكان مترب... أُحد هو امتحان للمسلم حتى لا تغريه الغنائم فيذهل عن الحق ويقع في المحظور. هو امتحان في مسار المؤمن..."[2] "كيف لا نحب جبل أُحد وهو يحدّثنا دوما ويجزي لنا من النصح ما ينفعنا في مواجهة الصعاب ومقارعة الخطوب؟"[3]

كما ذُكرت في الرواية مدن وبلدان أخرى كان قد عاش فيها أو زارها الكاتب في مراحل مختلفة من حياته: أمريكا ومصر ولبنان وإسبانيا وباريس ومارسيليا وبعض القرى المغربية كمسقط رأسه بإفران وتافيلالت والعين عين الصفراء وتازارين...

[1] الرواية، ص 117
[2] الرواية، ص 160
[3] الرواية، ص 161

3- علاقة المكان بالشخصيات الروائية:

تتمتع الشخصية بموقع هام ومميّز في بناء كلا من الحدث والمكان في الرواية، ذلك أنها من أبرز مكوناتها، وكما أشار إليها لطيف زيتوني أنها "كل مشارك في أحداث الحكاية سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات... فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها"[1] وهذا يدلّ على أن الشخصية الروائية هي التي تحرّك الأحداث وتضيف لها الزخم والحركة.

عند قراءتنا لرواية "رواء مكة" التي هي بالأساس سيرة روائية مما يعني أن شخصياتها بدءا بالشخصية الرئيسية وهو الكاتب حسن أوريد حقيقية، تعددت الشخصيات الثانوية على طول السيرة الروائية لكثرة تجارب وترحال الكاتب بين المدن والبلدان سنحاول فيما يلي ذكر ما اقتنصناه منها:

1- الشخصيات الرئيسية: كاتب السيرة (حسن أوريد): وهو الشخصية البطلة في الرواية، هذا الرجل الذي سيقوم برحلة ستغير مسار حياته، تغيّر أفكاره، وأيديولجيته، وهو الرجل المعلمن المولع بالغرب الذي يرى في الدين تقليدا وموروثا وسببا في تأخره وتأخر من حوله، إنه كان يراه إصرا كما يقول: "لم يعد الإسلام في حياتي إلّا ذكرى، وإلّا حنينا يستدرّ مني التوقير، لأنه دين آبائي وأجدادي، ودين المجتمع الذي أضطرب به، ولكني لم أكن أرى نفسي مطوّقا به. كنت أراه إصرا، ليس عليّ وحدي فحسب، بل على المجتمع كلّه..."[2] كانت قطيعته تلك مع الدين أحد أسبابها فقدانه لأخيه المريض الأصغر، وتضرعه إلى الله أن يجده دون جدوى فيقرر الشطح بعيدا عنه مادام الله لم يرأف به وبعائلته المكلومة على فقدان ابنها، لينصرف إلى حياة ماجنة متنكرة لكل ما له علاقة بالدين والروحانية ويعتنق فكر الغرب ولغة الغرب وأسلوب حياة الغرب بفكر عقلاني استدلالي لا يضع اعتبارا للنصوص الدينية النقلية، بل بالوجودية التي أسرته في كتابات سارتر وألبير كامو، معتبرا أن هذه الأفكار التي تشبع بها "هي السبيل ولا سبيل غيرها"[3] ثم بقرار لرحلة حج غير مخطط لها نرى

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 114 113

[2] الرواية، ص 35

[3] الرواية، ص 25

إرهاصات التغير في شخصيته تلك وانتقاله إلى الطرف الآخر من المعادلة، معادلة الحق والباطل، يقول حول رؤيته للحج: "هل قدّرت يوما أني سأشدّ الرحال إلى الديار المقدسة وقد نفرت عمّا كنت أراه رسيس تربية ومخلفات ثقافة؟ ..."[1] ويضيف "كنت أرى في الحج وقد تواترت حوادث الازدحام والحرائق والضحايا مخاطرة. وهل أدفع بأمي إلى التهلكة؟ ثم ما يفيد أن يطوف المرء وسط الزحام، ويرشق نصبا بالحجارة؟ ... فأي رحلة هذه التي سلكت، من رافض للحج، متندّر بشؤونه إلى مُقدم عليه... هل هي مصالحة مع الإسلام، أم هي قطيعة نهائية تأخذ شكل سفر للوقوف على وجه من وجوهه؟"[2] كانت هذه أيديولوجية الكاتب في بداية الأمر. إن "الإيديولوجيا هي مجموع القيم والمبادئ والأفكار والأهداف والغايات التي كانت تتبناها شخصيات معينة ولعل ذلك يرجع إلى عدم قناعة الشخصيات لذه الأفكار ورغبتها في استبدال إيديولوجيا أفضل على الأقل بالنسبة لها تناسب قناعتها الجديدة"[3].

ثم يكون التحول في فناء المسجد الحرام إنه يرى نور الحق ساطعا أمامه: "أما ما وقع فهو نور يقذفه الله في قلب المؤمن، كما يقول الإمام الغزالي، أو هو طائر يحط على عرش نفس الإنسان، كما في تعبير القطب سيدي عبد القادر الجيلاني: «الإيمان طائر غيبي ينزل من أفق، يختص برحمته من يشاء، يسقط على شجرة قلب العبد، يترنم له بلذيذ لحونه...»[4].

2- الشخصيات الثانوية: للشخصيات الثانوية دور ومكانة في الرواية، وفي رواية "رواء مكة" شخصيات عديدة ساهمت في سير الأحداث ومن هذه الشخصيات نذكر:

1- الزوجة: هي زوجة حسن، وقد جاء ذكرها في مواضع عديدة من الرواية، إذ رافقته منذ البداية: "ولاحظت زوجتي إطراقي. فقلت بالفرنسية: يبدو أن قصة الحج صارت حقيقة. فردت:

- عليك أن تبتهج.

---

[1] الرواية، ص 13

[2] الرواية، ص 13

[3] غنية بوحرة: مظاهر الصراع الإيديولوجي في رواية الأزمة الجزائرية، متاهات أحمد عياشي،، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية ص 175 جامعة حاج لخضر باتنة، ع،03 دس، ص 5

[4] الرواية، ص 92

وفي مقطع آخر تحادثه زوجته ويحادثها حديثا مهما حول مفهوم الإسلام:

- حسن، أتحدّث نفسك؟

تنزعني زوجي من خواطري.

- كنت... كنت أفكر.

- ولكنك تهمهم بكلام غير مفهوم. هيا، خذ الدعاء المستجاب، واتل بعضا من أدعيته.

- كل الدعاء يبلغ الله بأي صيغة كان أو بأي لغة، إن صفت النيات وصلح القلب. الله لا يحتاج إلى همهماتنا وإلى أذكارنا.

- عليك أن تدع فلسفتك وأنت مقبل على الحج.. لا فلسفة مع الدين.

- ولكني لا أراني أفبر عقلي.. وقد تكون لك طريقة لفهم الدين تليق بك، أما أنا فقد سلكت لنفسي طريقا أخرى ..

- ترى أين قادتك طريقك؟

- لا يمكن أن أفصل تلك المرحلة عن حياتي، فليس في الأمر قطيعة، بل استمرارية.

- استمرارية ألا تؤمن بالإسلام في مرحلة، وتؤمن به في مرحلة؟

- لم أكن أؤمن بفهم معين للإسلام.. ولعل ما أؤمن به الآن هو الإسلام في نبعه الأول؟

- وهل أنت وحدك انتهيت إلى هذا وكل الناس في ضلال؟

- لم أقل هذا أبدا. حاشا.. ولكن الإسلام كما ورد في حديث النبي عليه السلام جاء غريبا وطوبى للغرباء.. الإسلام هو فلسفة حياة، تبدأ بإشراقة الإيمان، وعلى هديه يسير العقل، وتنتسج حياة المرء كلها من نور الإيمان ورفقة العقل. سدى ولحام. مسار يكون العقل فيها صاحبا لا سيدا فلا يشتط في الأمر أو يجور عن القصد.. ذلك الإشراق أو ذاك النور هو الذي يملا حياة المرء فيزيح الغشاوات ويبدد الظلمات.. ثم إن الإسلام دعوة للعدل، ولذلك لا يمكن أن يكون استكانة للظلم ورضوخا للاستبداد وعبادة للأصنام وتبعا للسحرة.. الإسلام تحرر، وهذا التحرر لا يكون إلا بالجهاد. جهاد النفس أولا، والقيام ضد الظلم إن اقتضى الأمر ...

- وهذه سياسة، والسياسة تفسد الدين.

- الإسلام تربية، وتزكية للنفس في أي مضمار تخوضه.. تزكية، لها في كل أوجه حياتها، بما ذلك ما يهم شؤون الناس وقضاياهم ولو فصلنا الإسلام عن قضايا الناس لأصبح طقوسا بلا معنى ولأضحى رهبنة.

- اللهم حسن العاقبة معك يا حسن، إن كفرت بالإسلام أسرفت على نفسك، وإن آمنت به حملت نفسك ما لا تطيق.

الإسلام بحث وكدح، من أجل العودة، إلى ربنا، مالكنا وبارئنا مثلما ورد في محكم التنزيل: «وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى»، سورة النجم، الآية 42، وفي أية أخرى: «يا أيُّها الإنسَان إنَّكَ كادحٌ إلى رَبِّك كَدحًا فمُلاقِيهِ» سورة الانشقاق، الآية 6. قد تتعدد السبل، أما المآل فواحد.. ألم تتفكري في معنى «سبيل الله»؟ الإنفاق والجهاد، جهاد النفس، سبل من سبل الله، طرق مفضية إلى الحق. ولا يمكن أن نحيط بالسبل جميعها المفضية إلى لقاء الذات. ومن عرف نفسه، عرف الله.

- لو قرأت القرآن لكان خيرا لك.
- ولو تدبّرته لكان أفيد[1].

1- الوالد: وهو صورة لكل آبائنا، شخصية محافظة ملتزمة بالصلاة في المسجد وهو ما نلمسه في قول حسن: "ذات مرة سألت والدي، وقد عاد من المسجد بعد صلاة المغرب، في صقيع إفران:

- أما كان حريا بك أن تقبع هنا في البيت وسط الدفء، مع أولادك، عوض أن تقطع الطريق وسط هذا الزمهرير من بيتنا بحي الشباب إلى مسجد النيجر؟

ونظر إليه بذهول ولم يُجِر جوابا...[2]

عمر الخطابي (ابن أخ المجاهد عبد الكريم الخطابي): أثر في حسن بالغ الأثر. كان كما ذكره: "كان كلامه مزيجا من فرنسية راقية يتكلّمها سهوا ورهوا، والدارجة المغربية بلكنة الريف، ممتزجة باللهجة

[1] الرواية، ص 47 48

[2] الرواية، ص 25

المصرية... كان نفحة من الزعيم الخالد لا تزال جملته (المخزن ما كيغلطشي» ترن ففي أذني إلى الآن وتعقيبه عليها: إن المخزن يعرف بحاسة سادسة من يشكلون لديه خطورة، وهؤلاء لا يتوانى في الإيقاع بهم وثلبهم، أما من لا يشكلون خطورة، مهما علا صخبهم، فهو يستقطبهم ويذوبهم في أتونه. استمعت إلى الآخرين، وحاولت أن أستشف من خلال حديثهم وطريقته بواطن نفوسهم استمعت إلى دعوة أحدهم المبطنة لنا بالاستقطاب، من خلال أسلاك الملازمة، من الألفة والمحبة. وقاطعت الحديث:

-نحن نتكلم عن أشياء تهمنا كمغاربة، عن أبنائنا الذين يلتهمهم البحر وهم يحاولون أن يقطعوه للضفة الأخرى، عن واقع مدرستنا، عن الأوضاع المتردية لصحتنا...

ورد محدثنا من مجلس الإرشاد وكان من بلدتي :

-كنا نحسب أنا نتحدث إلى أناس يحبوننا ونحبهم...

وعقبت :

- لم أقل إننا نكرهكم...

وانفض الاجتماع...[1]

2- **الأستاذ محمد شفيق**: وهو أستاذه الذي يسديه النصح يذكر: " شعور من الأسى أن أخذ يدب في نفسي. ذهبت عند أستاذي محمد شفيق عسى أن يخفف من وخز الضمير علي وقد اعتصرني الندم، وكان يعطف على أسرة أوفقير، وكان ابنه عمر رحمه الله-، هو من قدم إلي رؤوف أوفقير ابن الجنرال.. قال لي شفيق:

-هون من روعك يا فتى. هو اختبار لك، لكيلا تكون un plumitif، أو مرتزق الكتابة. هو اختبار لضميرك. يُجرى الحكم على حياة كل شخص على المدى الطويل، ولا يمكن أن نحكم من خلال حدث أو خطرة... ثم أخذ ينشد بيتا لشاعر قديم بصوته الجهوري:

نزوة فقل للفؤاد إن نزا بك

من الروع، أفرخ، أكثر الروع باطله[2]

[1] الرواية، ص 37

[2] الرواية، ص41 .

الجنرال المصري: كان قد سأله دار بين وبين حسن حوار ذكره في المقطع التالي: " أثاريني جنرال مصري، كان حسن المعشر، جميل الأحدوثة، وكان كثير الدعابة مع المشاركين من الإسرائيليين. أثاريني من أجل ذلك، إلى أن كانت ليلة الوداع، وقصفنا، أنا وهو وصديق لي مغربي، درسنا وإياه سيصبح قطبا من أقطاب المخابرات.. شربنا حتى عبثت الخمرة برؤوسنا فسألت الجنرال المصري:

-أنا لا أفهم تصرفك ولا موقف مصر...

وكأني أصبته في مقتل.

-اه، أخ حسن، هل تحسب أني أؤمن بكل هذه اللقاءات؟ شاركت في كل الحروب. في 56، في 67، في 73، ومات لي أصدقاء في كل هذه الحروب، هل تحسب أني أتصرف كان لا شيء قد حدث.. ماليش دعوى بالكلام ده كله. أنا عايز قهوة زريفة (ظريفة) مع المدام والأحفاد. هتكت ستره، فعقبت:

-ما يمتله جمال بالنسبة إليك؟

نظر إلي في أسى وكأنما قد تبدد أثر الخمر لينبئ عن جرح غائر

هو الفرصة اللي راحت (أو ضاعت، لا أذكر).[1]

كما ذكرت في الرواية شخصيات ثانوية أخرى التقاها حسن أو تحدث عن ذكرياته معها، نحاول أن نذكر بعضها على الشكل التالي:

الأخ: أخ حسن الذي يصغره بعامين والذي اختفى ولم يجدوه.

الجدة: كان يذهب معها لزيارة الأولياء الصالحين ومنها رأى أولى شعائر الدين إذ كان يراها تصلي وتقوم الليل.

[1] الرواية، ص64 .

أساتذته: وهم الذين نهل منهم العلم يذكر منهم الحاج امحمد باحنيني وعبد الكريم حليم...

الطبيب والممرضة: اللذان أشرفا عليه وطبباه أثناء تواجده بمستشفى بكوالالمبور.

أبنائه: إسماعيل وسامية وسلمى: رافقوه في رحلته إلى اسبانيا.

محمود درويش: استضافه حسن في بيته ودار بينهما حديث عن الأندلس.

سي فوزي وزوجته: اللذان رافقانه في رحلة الحج.

صهره: رافقه كذلك في رحلة الحج.

السي عيساوي المسطاطي: رجل فاضل أهداه تفسير المراغي قبل سفره للحج.

الشاب الوسيم: الذي التقاه في الحج وحدّثه حديثا عنصريا عن تفوق الجنس الأمازيغي وكيف في رأيه أن الإسلام ليس إلا غطاء لهيمنة العنصر العربي.

الأم: لم يأت حسن على ذكرها كثيرا وقد دار بينه وبينها حديث لما أخبرها بالفتى الأمازيغي الذي عكّر عليه صفو حجه.

وفي الرواية كثير من الشخصيات العابرة التي ذكرها الكاتب إما تعقبيا أو في خضم السرد ولم يكن لها كبير أثر في الرواية.

إننا من خلال تعرضنا للشخصيات الرئيسية والثانوية في رواية "رواء مكة" نكون أمام فرصة الكشف عن العلاقة القائمة بين المكان والشخصية كون الأخيرة تعدّ "نقطة التقاطع لعناصر البنية، من حيث الزمان والمكان والوصف واللغة وتوسم بأنها بؤرة النص الروائي"[1] إذ هي القاسم المشترك بين جميع العناصر السردية في الرواية.

[1] باية غيبوب: الشخصية الانثربولوجية العجائبية في رواية مائة عام من العزلة لغابريل غارسيا ماركيز، "أنماطها، مواصفاتها، أبعادها"، دار الأمل للطباعة (1 (والنشر، تيزي وزو، دط، دس، ص41.

3- تأثير المكان على الشخصيات:

ما دامت الشخصيات تدور في فضاء المكان فلا بد أن هناك علاقة ارتباط بينهما، فالمكان يعكس طبيعة الشخصيات التي تسكنه، كما يساهم في إبراز مشاعر الإنسان وأحاسيسه الأمر الذي يسهل حركتها داخل النص الروائي. إن المكان عنصر فعال على الشخصية الروائية بينهما أخذ ورد، فالشخصية قد تألف المكان وتحبه وتعيش فيه في سعة وراحة وتجد فيه السلوى وتعيد اكتشاف ذاتها كما حدث مع حسن لما حجّ إلى مكة: "كانت الكعبة المشرفة لقاء مع ذاتي... كان طوافي بحثا، ولما أن فرغت سعيت، وبعد السعي، انزويت جانبا أنظر إلى ما حولي وأتملى حياتي... قد كان لحجي ألّا يكون إلّا شعيرة. وفجأة، نعم كماء يتفجر من الأعماق تحوّل رواء انبجس من داخل نفسي..."[1].

ويضيف تدليلا على تأثير المكان عليه بالقول: "لقد قمت بشعائر الحج وأنا مُوزّع بين شخصين... شخص يقوم بالشعائر، وشخص يرمقه في الوقت ذاته وكدت لمرات كثيرة أن أهوى كمن يعبر الصراط. كدت لمرات عديدة أن أقول كل هذا عبث.. أشياء كثيرة كانت تنفرني، ولكن أشياء كثيرة تفوقها نفعم خاطري.. لقد رصدت ذلك كله، وإن تشأ أقرأه عليك.. كنت أرصد ذبذبات تحول، إلى أن وقع ذلك الشعور العجيب وأنا بفناء المسجد الحرام وقد فرغت من طواف الإفاضة ومن السعي.. ووقع التحول في آخر لحظة. لست أملك وسيلة للتعبير عما اعتمل في أعماق نفسي.. وليس لدي وسيلة للتدليل العقلي لما وقع.. فلست أستطيع إلا أن أتحدث عن تجليات ما وقع، أما ما وقع فهو نور يقذفه الله في قلب المؤمن، كما يقول الإمام الغزالي، أو هو طائر يحط على عرش نفس الإنسان، كما في تعبير القطب سيدي عبد القادر الجيلاني: «الإيمان طائر غيبي ينزل من أفق، يختص برحمته من يشاء، يسقط على شجرة قلب العبد، يترنم له بلذيذ لحونه هو مسألة لا تدرك إلا بالذوق.. ولذلك أنا عاجز عن التعبير عنها .لقد تحولت، وتذكرت تلك المقولة التي كنت قرأتها في دير الراهبة حريصا في أرباض بيروت: لا ترحل عن هذا المكان إلى أن تتحول.. وهي الحكمة التي وجدت مقابلا لها عند ابن عطاء الله السكندري: لا ترحل من كون فتكون كحمار الرحى يسير

[1] الرواية، ص 90.

والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون... وتحولت... أصبح لحياتي معنى.. أدركت المعاني الدقيقة لنداء «لا إله إلا الله، محمد رسول الله». وقد أحدثك عما انتهى إلي من معناها. أدركت معنى «الله أكبر. كنت منقبضا فأصبحت منشرحا. كنت أخشى الحياة وصروفها، وأضحيت أهزأ منها ومن أحابيلها. كنت أهوى نفسي، وأأتمر بهواي، وأضحيت أضبط جماحها أو أسعى لضبط جماحها. وكان الهوى يثبط العزيمة ويفت من الإرادة. كانت غشاوة ترين على ذهني فلا أبصر، وانجلت الغشاوة. كنت مقمحا، كالبعير المكبلة التي ترفع رأسها في شمم وإباء وترفض أن تكرع من الماء، وانحنيت بلا تأفف، لم يثنني وضعي، ولا ما نلت من معرفة وعلوم عقلية، لأنهل من نبع ثرّ صافٍ يكرع منه المؤمنون.. ذاك الرَواء (بفتح الراء) غير حياتي رأسا على عقب. وأرى أنه غيرها نحو الأحسن.. أضحى البعيد قريبا، ومن حسبته قريبا صار بعيدا. إخوتي ليسوا من شاطرتهم مرابع الصبا أو خطرات الشباب. إخوتي ليس من يجمعني وإياهم عرق أو لسان. إخوتي إخوة إيمان، من يرددون معي نفس النداء، نداء «الله أكبر». »[1]

إذن فتأثير المكان الذي هو مكة على الشخصية الرئيسية كان ملفتا وكبيرا جدا، لقد حولته مكة إلى شخص آخر، أعادته لكنف دينه ورحمته وعدله، وأشعرته بالانتماء مجددا لأخوة الإسلام، لقد كان ذلك المكان المقدس عليه رَواءً حقا. وهنا تكمن سلطة المكان.

[1] الرواية، ص 92.

4- علاقة المكان بالحدث الروائي:

إنه كما يرتبط المكان بالشخصيات الروائية نجده كذلك يرتبط بالحدث الروائي، فالمكان يعتبر مسرحا للأحداث وحيزا تمثل فيه الشخصيات أدوارها وتنمو في نطاق الأحداث التي تصادفها. إن الحدث يمثل الركيزة الأساسية والرئيسة في النص الرواية.

من خلال تتبعنا لمضمون المتن السردي، نجد أن الأحداث كانت حقيقية عايشها الكاتب، فالرواية التي بين أيدينا هي سيرة حسن أوريد في مرحلة ما من حياته، كتبها لأجل حدث واحد هو رحلته "الشك إلى اليقين" في مكان معين هو مكة. وهنا نرى العلاقة بين المكان والنص الروائي.

إن الحدث الروائي يعتمد على التفاصيل التي تلحظها وتعايشها الشخصيات في المكان، وفي روايتنا هذه الكثير من الأحداث والوقائع التي شدنا إليها الكاتب، بدءا بنشأته في القرية، إلى رحلاته المتتابعة إلى البلدان ورحلته الفاصلة إلى الحج. يقول ساردا في بدايته روايته: " خواطر شتى تتجاذبني وأنا أتوجه من مكناس، حيث كنت أقيم، إلى مطار الدار البيضاء لأداء فريضة الحج.. هل قدرت يوما أني سأشد الرحال إلى الديار المقدسة وقد نفرت عما كنت أراه رسيس تربية ومخلفات ثقافة؟ هل يستقيم هذا العزم وقد نبذت ماضي ورائي ظهريا؟ وهل هو حج أم استكشاف؟ وأي استكشاف يكون؟ ألم أدفع كل الدعوات التي تلقيتها لأداء الحج، متأدبا أحيانا، متندرا أخرى، مستشهدا بمقولة تُنسب إلى أحمد شوقي وقد قرّر الخديوي أن يبعثه إلى الحج: «كل شيء إلا ركوب الجمال يا أفندينا». ألم أنتهر أمي حينما رغبت في الحج، لأني كنت أرى ما لا ترى؟ كنت أرى في الحج وقد تواترت حوادث الازدحام والحرائق والضحايا مخاطرة. وهل أدفع بأمي إلى التهلكة؟ ثم ما يفيد أن يطرف المرء وسط الزحام، ويرشق نصبا بالحجارة؟ فأي رحلة هذه التي سلكت، من رافض للحج، متندّر بشؤونه إلى مقدم عليه. وهل هي أوبة إلى ذلك الحضن الذي احتضنني وأنا بعد صغير، أم هو استكشاف لطقوس وعبادة ووقوف على تجمع ضخم هائل ليس إلا؟ هل هي مصالحة مع الإسلام، أم هي قطيعة نهائية تأخذ شكل سفر للوقوف على وجه من وجوهه؟ واستحضرت سابقة عالم

أنثروبولوجي حرّكه الحنين إلى ما أسماه بيته الوجداني، فحج ..ولكن الحج والمظاهر التي عاينها ما زادته من الإسلام إلا نفورا. هو احتمال أن تكون القطيعة النهائية.. وبعد، أنا لا أزيد أن أفيَ بنذر قمت به في حالة ضعف.. ولكن ينبغي الوفاء بالنّذر[1]. ومن الأحداث التي لها علاقة بالمكان، قيامه بمناسك الحج ووصفه لأماكن الشعائر والناس من وصوله إلى المدينة المنورة وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة ووصف شوارعها وجبالها إلى السعي بين الصفا والمروة ولبثه في منى وعرفات. وكل هذه الأحداث لها علاقة متينة بالمكان فهي مختصة به لا بغيره من الأماكن الأخرى.

[1] الرواية، ص 13- 14.

خـــــاتمة

لقد كانت رواية "رَوَاء مكة" حافلة بالعديد من الدلالات ونصا روائيا خصبا للدراسة، لا لدراسة عنصر المكان وحده؛ بل كافة عناصر الرواية وأبعادها، وما بحثنا هذا إلا كمثل قطرة في بحر الدراسات المتخصصة في المكان الذي هو عنصر فاعل ومكوّن أساس في الرواية، ومن أهم ما تمكنّا استنتاجه في هذا البحث:

- يظهر المكان وبشكل بارز أنه أهمّ عنصر في الرواية بتعدده ودلالاته، فحسن أوريد أقام سيرته الروائية به وعلى أساسه ليعرّج على فكرة سلطة المكان.
- ذكر الكاتب لأمكنة متعددة من أماكن مغلقة ومفتوحة وتوظيفها، راجع إلى محاولة إشراك القارئ/المتلقي في استشعار نفسية الكاتب وكشف أحاسيسه ومشاعره وشخصيته وكيفية تأثرها وتطورها بالمكان.
- ارتباط المكان بالوصف لتأكيد سلطته على نفسية الشخصية الروائية وتداخلها معه، كل ذلك الوصف للأماكن المقدسة وشعائر الحج له دور بارز في التأثير على فهم القارئ لمدى أهمية المكان من خلال سلطته وهيمنته على بطل السيرة الروائية.
- توظيف المكان توظيفا فاعلا وواعيا أكسبه جمالية طاغية مما انعكس على جمالية الرواية بأسرها.

قـــــائمة

الــمصادر والمــــراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

- حسن أوريد، رَوَاء مكة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى 2019.

2- المراجع العربية والمترجمة:

المراجع العربية:

- أبو بكر الرازي، رسائل فلسفية، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار آفاق الجديد، منشورات دار آفاق الجديد، ط 5، بيروت، 1982.

- أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، حققه: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت لبنان.

- أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق: محمد عبد الهادي ابو ريده، القسم الاول، مطبعة حسان، الطبعة الثانية.

- الإمام الغزالي، مقدمة تهافت الفلاسفة المسماة مقاصد الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر.

- باية غيبوب، الشخصية الانثربولوجية العجائبية في رواية مائة عام من العزلة لغابريل غارسيا ماركيز، "أنماطها، مواصفاتها، أبعادها "، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، دط، دس.

- بودية إدريس، الرؤية والبنية في رواية الطاهر وطار، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، د ط 2007.

- التبر، ابراهيم الكوني، رياض، اليس للكتب والنشر، لندن، سبتمبر 1984.

- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت 1995.

- جميل حمداوي، سيميوطيقا العنوان، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، الناظور- تطوان/المملكة المغربية، الطبعة الثانية 2020.

- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م.

- حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق بغداد، الطبعة الأولى، 1987.

- حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، يناير 2000.

- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.

- د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط2004 .

- د. مرشد أحمد، أنسة المكان في روايات عبد الرحمن منيف, دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية الطبعة الأولى 2003.

- رسائل اخوان الصفاء، وخلان الوفاء، مراجعة: خبر الدين الزركلي، مؤسسة هنداوي.

- سيزا قاسم، بناء الرواية، هيئة الكتاب 2004.

- الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى.

- عبد الصمد زايد: المكان في الرواية "الصورة والدلالة"، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2003م.

- عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د ط1995.

- عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الأولى.

- محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د ط، 2011.

- محمد أحمد السامرائي، فلسفة المكان في الفكر الجغرافي محمد أحمد السامرائي.

- محمد فؤاد عبد الباقي، معجم ألفاظ القرآن الكريم.

- مدحت الجيار، جماليات المكان، مجموعة مؤلفين، دار قرطبة، الطبعة الثانية 1988.

- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، منشورات الهيئة العامة للكتاب، دمشق 2011.

- ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد.

المراجع المترجمة:

– يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، تر: سيزا قاسم، كتاب: جماليات المكان مجموعة من المؤلفين، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، ط1، 1988م.

– غاستون باشلار، جماليات المكان، ت: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1984.

3– المعاجم والقواميس:

- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

- أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة العربية والصحاح العربية، دار الحديث القاهرة 2009.

- بطرس البستاني: محيط المحيط: مكتبة لبنان، د ط، دس.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، دار الكتب العلمية.

- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، عربي انجليزي فرنسي، مكتبة لبنان، ط 1، 2002م.

- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، الطبعة الرابعة 2004.

4–الدوريات:

- أ.د. حسين بوحسون، جمالية المكان الفني (مقاربة نظرية)، مجلة دراسات جامعة طاهري محمد، بشار، جوان 2016.

- إسماعيل زغودة، بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة عبد الجليل مرتاض نموذجا، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان الجزائر 2013. 2014.

- حمودي بن العربي، سيميائية العنوان في مسرحيته "مسافر ليل" لصلاح عبد الصبور، مجلة الحوار المتمدن، محور الأدب والفن، ع ،3098، 2010م.

- د. بن جديد جمال، سيمياء المدينة مكة: القوة والدلالة، المركز الجامعي النعامة الجزائر، 30/6/2021.

- د. عمر شطة، أنسنة المكان في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج، مجلة إشكالات في اللغة والأدب مخبر علوم اللسان، جامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر 2021 مجلد 10، عدد 4.

- سليم بتقة، تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع، 06 2010م.

- غنية بوحرة، مظاهر الصراع الإيديولوجي في رواية الأزمة الجزائرية، متاهات أحمد عياشي،، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية ص 175 جامعة حاج لخضر باتنة، ع 03، دس.

- كلثوم مذقن، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال "للطيب صالح"، مجلة الأثر للآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، ع 04 2005م.

- يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني (المكان والدلالة)، تر: سيزا قاسم، مجلة ألف، العدد 6، 1986م.

5-الرسائل

- عجوج فاطمة الزهراء، المكان ودلالته في الرواية المغاربية المعاصرة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس الجزائر2017_2018.

6-المواقع الألكترونية:

- أحمدزيادمحبك،مقالةجماليةالمكانفيالرواية،موقع ديوان العرب https://www.diwanalarab.com

- فريدالأنصاري،مفهومالجماليةبينالفكرالإسلاميوالفلسفةالغربية، https://hiragate.com/7144/.

الـــفهرس

إهـــــــــداء

شكر وعرفان

مقدمـــــــــة ..... أ

الفصل الأول: المكان: المفهوم، الأنواع والعلاقات

مفهوم المكان الروائي 6

أنواع المكان 14

أهمية عنصر المكان 18

جمالية عنصر المكان 22

علاقة المكان بالشخصية 24

أنسنة المكان 28

الفصل الثاني: سلطة المكان في رواية رواء محكة

قراءة العتبة 33

الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة 35

علاقة المكان بالشخصيات الروائية 44

تأثير المكان على الشخصيات 51

علاقة المكان بالحدث الروائي 53

خاتمة 56

قائمة المصادر والمراجع 58

الـفهـــرس

الملخص

يعتبر المكان في رواية "رَوَاء مكة" الرواية حجر الأساس والعنصر الأبرز والأهم، لا يضاهيه في ذلك عنصر آخر، ذلك أن له سلطة واضحة على الرواية وفي إطاره كان يتحرك السرد وتتحرك الأحداث والشخصيات، فتطور شخصية حسن أوريد راجع كله للمكان (مكة)، ذلك المكان بكل سلطته وتأثيره الروحاني غيّر ملامح الشخصية تغييرا جذريًا، قادها بسلطة جماليته إلى إعادة التفكير وطرح أكثر الأسئلة أهمية في حياة الإنسان... باختصار لقد أعاد المكان خلق الشخصية من جديد.

Abstract

In the novel 'Rawaa Mecca', the place is considered the cornerstone and the most prominent and important element, unmatched by any other element, as it has clear authority over the novel and within its framework the narration moves and events and characters move. The development of Hassan Orid's character is all due to the place (Mecca), that place with all its authority and spiritual influence changed the features of the character radically, leading it with its aesthetic authority to rethink and ask the most important questions in human life… In short, the place recreated the character anew.